مكتبة دير السريان العامر

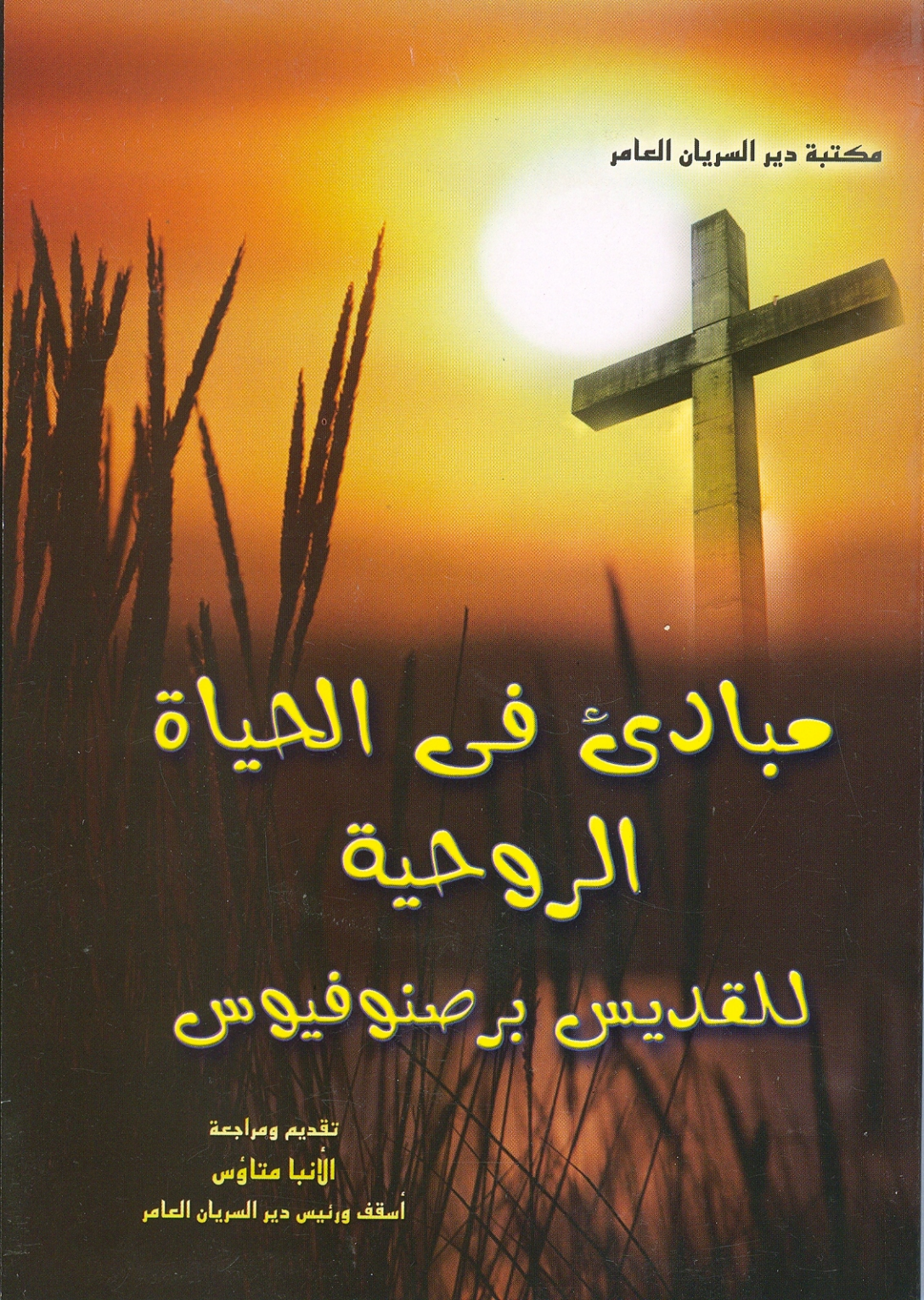

مبادئ فى الحياة الروحية

للقديس برصنوفيوس

تقديم ومراجعة
الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

مكتبة دير السريان العامر
تقدم

مبادئ في الحياة الروحية
للقديس برصنوفيوس

إعداد
المتنيح القمص
سمعان السرياني

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

سيرة القديس العظيم برصنوفيوس

يُذكر اسمه مع مجموعة آباء آخرين ويلاحظ أنه مُلقب بالعظيم برصنوفيوس وقد كتب هذه السيرة شخص يُدعى نيقوديموس من جبل آثوس.

إنه مصري المولد، التهب منذ حداثته بالطريق الروحي وذات مرة ذهب إلى ميدان السباق، ورأى أشخاص يتبارون مع بعضهم البعض فخاطب نفسه قائلاً " أنظرهم يتبارون بعنف من أجل أكاليل تفنى، أليس الواجب علينا نحن ورثة الملكوت السماوي أن نجاهد بصورة أشد من أجل الأكاليل التي لا تفنى؟!" وترك ميدان السباق بغيرة متزايدة ومضى إلى الدير.

رهبنته وسلوكه

ليس معروفاً ما إذا كان قد دخل ديراً في مصر، لأن الشواهد أظهرت أنه راهب بفلسطين. وكان يأتي إلى أورشليم لزيارة الأماكن المقدسة ثم استقر هناك. وعاش أولاً تحت رعاية (المرشد الروحاني) مار سينيوس. ثم عاش أخيراً في شركة الأنبا سيريد قرب غزة. وإذ كان يتوق إلى أسمى الدرجات بنى لنفسه قلاية صغيرة في الصحراء وعاش هناك حياة المتوحدين مستمتعاً بحلاوة السكون وكانوا يُحضرون له ثلاث خبزات في الأسبوع.

ولكن بعد ما أسلم ذاته للتنهد ونال عذوبة أكثر بسكب الدموع، كان يكتفي بكسرة صغيرة فقط بسبب إحساسه بالعذوبة التي لا يُنطق بها. وغالباً ما كان ينسى أن يأكل حتى هذا القدر الضئيل من الخبز. وهكذا في بعض الأوقات كان يأكل مرتين في الأسبوع وفي أوقات أخرى مرة واحدة لأنه غالباً ما كان يتوق للطعام الروحاني، فكان قد نسى الطعام الطبيعي من شدة حلاوة الطعام الروحاني.

وإذ قد طهر نفسه هكذا في دموع لا تتوقف، مع الوقت طهر هذا القديس قلبه من أوجاع النفس والجسد، حتى أصبح محصناً ضد سهام الأعداء، وبلغ سلام الأفكار التي منها نال عطايا الروح القدس، وبلغ الحالة التي فيها تجمد كل هياج وكفت مكابدة الآلام أو بالحري ماتت فيه حتى أنه دعا مكان عزلته قبراً.

اتضاعه ومواهبه

وعندما طهر قلبه من الأوجاع الردية وصار هيكلاً ومسكناً مبهجاً للروح القدس من أجل نقاوته ازداد في الرفعة وكان يعتبر نفسه تراباً ورماداً وليس بالكلام بل بالحقيقة الفعلية، وهكذا كان اتضاعه حقيقياً كاملاً. وكان يقول لنفسه دائماً " ما أنا؟ " ومن يعتبرني أنني شيء؟!

وبهذا الاتضاع نال أعظم الفضائل، أي الإفراز (١) الذي يعطيه الله للراهب لكي يحكمه. ومن الإفراز أؤتمن القديس برصنوفيوس على الرؤى التي بحسب تفسير مار بطرس الدمشقي هي إدراكات الجوهر غير المادي اللامنظور في الأمور الحسية والخليقة اللامادية وعن طريق الرؤى أعطي موهبة الكشف والتنبؤ، فأمكنه أن يرى أحداثاً تجري بعيداً كما لو كانت قريبة، والمستقبل كما لو كان حاضراً وعن طريق النعمة كان يرى قلوب الناس ويجيب على أسئلتهم ليس بحسب كلماتهم ولكن بحسب ما يجول في قلوبهم وأفكارهم.

وبحسب قول داود النبي كان يتوق بكل قلبه أن يصعد إلى الله، فكان يزداد اتضاعاً على اتضاع، وسكوناً على سكون، وحباً على حب.

فأعطي أخيراً أكبر العطايا إذ كان يتوق إلى الله ويصعد للسماء الثالثة ليس على أجنحة الخيال بل عن طريق قوة الروح غير المنطوق بها. هناك نال بركات ورأى أمجاداً لا توصف وأسرار ملكوت الله وهو لا يعلم أفي الجسد أم خارج الجسد كمثل العظيم بولس (٢كو ١٢: ٣).

---

(١) الإفراز هو نعمة التمييز بين ما هو من الله وما هو من الشيطان.

حينئذ أُعطيَ نعمة عمل معجزات كثيرة حتى أنه باسم الرب يسوع المسيح استطاع أن يُقيم الموتى ويُخرج شياطين، ويشفي الأمراض المستعصية ويصنع عجائب كثيرة وكإيليا استطاع أن يفتح السماء المغلقة.

هذه هي المواهب التي مُنحت للعظيم بين الآباء القديس برصنوفيوس وهذه هي كمال فضائله وفي نفس الوقت هذه العطايا العظيمة كان يصاحبها تجارب من النوع الذي لا يدركه إلا قليلون حين يسمعون عنها. وقد احتملها جميعاً في صبر. لقد تعرض أيضاً لأمراض مؤلمة ولكنه تحملها بشجاعة حتى أنه أثناء مرضه لم يكن يتجنب الرقاد للراحة فقط بل لم يكف عن عمل يديه!.

جهاده وإيمانه المستقيم

عاش هذا القديس في القرن السادس في عهد الإمبراطور " يوستنيان " ولم يره أحد لمدة أكثر من خمسين سنة، مرة واحدة فقط ظهر لبعض الإخوة وغسل أقدامهم لينفي كل شك في وجوده، وفي ذات مرة نحو نهاية حياته ترك سكونه المحبب من أجل خير الكنيسة، عندما بدأ يوستنيان يضطهد الذين لم يوافقوا على تعاليم الهراطقة التي كان يعتنقها. وفي هذه الأزمة تبع بطريرك أورشليم الأنبا برصنوفيوس في ذهابه للإمبراطور طالباً

الشفقة والرأفة وقد نجحت الإرسالية واقتنع الإمبراطور بقوة برهان الأنبا برصنوفيوس ورجع عن ما ضمره لمن كانوا في نظره متمردين ضده شخصياً واستعاد بعدها عطفه على كنيسة أورشليم حتى أنه أرسل لها هدايا بواسطة القديس برصنوفيوس.

نياحته

تنيح الأب العظيم القديس برصنوفيوس في سنة ٥٦٣م وبعض التقارير ذكرت أن وفاته كانت قبل سنة ٦٠٠ دون تحديد.

القديس يوحنا (١)

قد سلك القديس يوحنا حياة السكون مثل القديس برصنوفيوس، ومُنح نفس مواهب الروح وبالأخص موهبتي الكشف والتنبؤ، ومن أجل هذا السبب عُرف بالنبي.

رهبنته وجهاده

لا يعرف أحد أين ولد ومن أين أتى إلى مجمع الشركة (الرهبنة)؟ لقد عاش في قلاية الأنبا برصنوفيوس العظيم. التي بناها أولاً بعد ما بنى لنفسه (القديس برصنوفيوس) قلاية أخرى قريبة من نفس المجمع وقضى ثماني عشر سنة هناك في السكون حتى تنيح.

ولم يره أحد قط مبتسماً أو مضطرباً أو غير باك بدموع أثناء اشتراكه في الأسرار الإلهية.

مواهبه

وعن طريق موهبة التنبؤ تنبأ القديس يوحنا عن أمور كثيرة حدثت تماماً بكل وقائعها كما أخبر بها ولقد أخبر بوفاته قائلاً سأموت بعد أسبوعين من وفاة الأب سيريد. لو كان الأب

---

(١) تلميذ القديس برصنوفيوس.

سيريد عاش مدة أطول لعشت خمس سنين أخرى، ولكن حيث أن الله أخفى هذا عني وأخذه فسوف لا أعيش طويلاً. وكان الأنبا هليان لم يزل صغيراً في وقت رهبنته وجُعل أباً للدير ولم يكن يعرف فرائض الدير ولا تدبير الإخوة فتوسل إلى يوحنا الطوباوي أعطني فرصة أسبوعين على الأقل حتى أسألك أسئلة عن الدير وكيف ندبره. فأشفق عليه المتوحد ونطق فيه الروح القدس الساكن فيه قائلاً حسناً سأمكث معك أسبوعين آخرين. وهكذا سأله الأنبا هليان عن كل شيء يخص تدبير الإخوة بالدير، وحيا كل واحد منهم على حدة وصرفهم إلى قلاليهم. حينئذ أسلم الروح في سلام في يد الرب.

روحانية أقواله

وبعد نياحة الأب يوحنا توقف القديس برصنوفيوس عن الكلام ولم يعط أي إجابات على أية أسئلة توجه إليه، كما يقول القديس دوريثيوس (في بداية الفصل الثاني من كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب).

لأنه بعد ما أغلق القديس برصنوفيوس شفتيه ترك دوريثيوس الدير وكون شركته الروحية المملوءة تقوى.

لقد أحب هذا الأبوان أقرباءهما من كل قلبيهما فلم يجملاهم بكل الفوائد أثناء حياتهم فقط بل استمرا على هذا بعد

موتهما، إذ قد تركا لنا الكتاب المخلص للنفس عن مشوراتهما المملوءة حكمة كتراث آباء لأبنائهما. لذلك فبقراءته بتأمل نحصل على فائدة عظيمة لأنفسنا. هذا الكتاب يحوي ٨٥٠ إجابة على أسئلة مختلفة سألها أشخاص كثيرون أساقفة وقسوس (كهنة) رهبان وعلمانيون كبار وصغار، عاقلون وضعفاء. بعض هذه الإجابات مكتوبة بواسطة القديس يوحنا المتوحد الثاني كما كان يطلق عليه ولكن معظمها أعطاه القديس برصنوفيوس المتوحد بنفسه ولكن مدونة بواسطة الأنبا سيريد.

وإن الواقعة الآتية تثير دهشتنا

عندما بدأ برصنوفيوس أن يعطي إجابات، استدعى الأنبا سيريد وأخبره بإجاباته وأمره أن يدونها (وكانت الإجابة لراهب من دير سبع يدعى يوحنا) وإذ كان الأنبا سيريد يتوق كثيراً أن يستعيد في ذاكرته كل الكلمات التي قيلت له من القديس وقع في حيرة كيف يكتب كلمات كثيرة كهذه. وتوقع أن يجعله القديس يحضر ورقاً وحبراً لكي يدون الإجابة كلمة كلمة في حال إنصاته لها، فقرأ القديس برصنوفيوس أفكار الأنبا سيريد بموهبة الكشف التي عنده وأضاء وجهه كما بلهيب نار وقال للأنبا سيريد اذهب دونها ولا تخف حتى لو قلت كلمات لا تعد لأنك حين تكتب اعلم أن الروح القدس سوف لا يتركك تنسى أو تزيد كلمة واحة عما قلته حتى لو أردت أنت، بل سيحرس يدك في كتابة كل شيء صحيحاً وبطريقة سليمة.

الباب الأول

التوبـــة

" هلم نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف " (إش ١: ١٨)

١ - مغفرة الخطايا

✠ قداستك يا أبي قلت لي هوذا قد غفرت لك خطاياك والأنبا إشعياء يقول ما دام الإنسان يجد لذة الخطية فلن تغفر له بعد، وهوذا أنا أحس بلذتها. فمن اجل الله أوضح لي ذلـــك لأن فكري حزين وأظن أنها لم تُغفر؟ ([1])

الجواب:

لقد قلت لك أن خطاياك القديمة قد غُفرت، أتراني قلت لك أن قتالات العدو قد بطلت؟ فالراهب قائم في صف الجهاد، ولو لم يكن لك خطايا فالشيطان يجلب لك لذة الخطية بالفكر.

أما ما قاله أنبا إشعياء فهو عن فاعليها المتلذذين بعملها لأن ذكر حلاوة العسل شيء، وتذوق حلاوة العسل شيء آخـــر.

([1]) البستان ص ٢٤٦.

حتى أن الذي يتذكر لذة الخطية ولا يفعلها بل يجاهد في ســـبيل إبعادها عنه فذلك هو الذي غُفرت له خطاياه القديمة.

ومن خيالات الشيطان انه يقول لغير المتمكنين أن خطاياكم لم تُغفر وذلك لكي يقطع رجاءهم فتحفظ من ذلك لئلا تقـــع بالكمال في أيدي العدو والله يعضدك إلى الدهر.

قال للإخوة: لا يكتم أحد منكم فكره لأن فرح الشيطان هو بكتمان الإخوة أفكارهم حتى تهلك أنفسهم، وإذا مـــا أخـــبرك واحد منهم بفكره فقل أنت في فكرك أنت يارب لم تكلمني أنا، والذي يأتي على فمك قلهن وبيَّن له أن الكلمـــة لـــيس هـــي كلمتك. كما هو مكتوب أن الذي يتكلم فبمثل كلام الله.

كيف نبدأ التوبة؟

✠ إن أردت ان تعرف كيف تبدأ التوبة أنظر ما فعلته تلك المرأة الخاطئة بدأت أن تبل قدميه بدموعها (لو ٨: ٣٨) أن النوح يُطهر كل إنسان من الخطايا ولكن لا يبلغ الإنسان النوح إلا بالجهاد والعمل بالهذيذ الطويل في الكتب المقدسة، بالـــصبر والتأمل في العار الأبدي وبإنكار الذات وحمل الصليب كما يقول الرب " إن أراد احد أن يأتي ورائي فليُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني " (مت ١٦: ٢٤)، إنكار الـــذات وحمـــل

الصليب تعني قطع المشيئة الذاتية في كل شيء، واعتبار الإنسان نفسه لا شيء ([1]).

✠ الذي يعترف بآثامه يتخلص منها بحسب قول الكتاب " خطيتي أمامي كل حين " وأيضاً " أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي" (مز ٣٢: ٥) فلننتبه من الآن فصاعداً إلى أنفسنا فإن آثامنا الماضية التي اعترفنا بها للكاهن قد غفرها الله ([2]).

سؤال : يا أبي إن الفكر يقول لي إن مضيت إلى موضع وسكنت فيه فإنك ستبلغ إلى السكوت الكامل لأنه علىَّ دين خطايا كثيرة وأنا أشتهي أن أعتق منها فماذا أفعل؟

جواب : يا أخي إن الذي عليه دين فهو مدان إن مضى لمدينة أو قرية أو حيث جلس لن يُعتق منه. فإن حرص الإنسان بكل قوته أن يحتمل الشتم والعار والخسارة والهوان من أجل خطاياه التي قد عملها فهو يتعلم الاتضاع والتعب، ومن أجل هؤلاء تغفر خطاياه كما هو مكتوب " أنظر إلى تواضعي وتعبي واغفر لي كل خطاياي " وتأمل سيدنا يسوع المسيح كم صبر من قبل أن يجيء إلى الصليب، وهكذا لا يقدر

([1]) القول ٥٩.
([2]) القول ٨٠.

إنسان أن يجيء إلى السكوت الكامل المثمر وإلى كمال قدس النياح إن لم يبدأ بصلب نفسه مع المسيح ويصبر ويحتمل كل أوجاعه، ويذكر قول الرسول " إن نحن تألمنا مع المسيح فسنتمجد معه " فلا تظن أنه توجد طريق أخرى للخلاص سوى هذه. والرب يعينك ويدبرك حسب إرادته فتؤسس لبنائك أساساً جيداً على الصخرة الشديدة التي هي المسيح.

٢ - المرشد

" وبخ، انتهر، عظ " ([1]) أين عقلك يا بائس وأين يدور فكرك يا عاجز؟

الله يقول على فم النبي إن أنت نظرت أخاك في طريق ما لا يمشي مستقيماً ولم تنهه ولم تقل له أن يحيد عما هو فيه فإن مات في خطيئته فمن يديك أطلب نفسه.

إن كان المؤمن يكلم ويحاجج الهراطقة والكفرة فلا يتسجس أبداً، لأن يسوع رأس السلام والهدوء وهو في داخله ساكن، والذي هو هكذا بالسلام والحب يقدر أن يجتذب كثيراً من الكفرة والمخالفين إلى الإيمان بيسوع المسيح ربنا.

([1]) ٢تي ٤: ٢

سؤال يا أبي قل لي رأيك فيما كنا نقر لأحد الإخوة ببعض القتالات ونلتمس منه الصلاة بخصوصها؟

الجواب جيد أن نقر لمن له قوة أن يسمع ولا نقر لمن هو بعد شاب. وأما ابتغاء الصلاة فجيد أن نطلبه من كل أحد.

وأيضاً شاب لا ينفع شاباً حتى ولو سقاه بكأس جميع تعاليم الكتب الإلهية فلن ينتفع منه ([1]).

ينبغي للراعي أن يحسب نفسه تحت الكل وأيضاً يدبر الكل ويطلب منهم الطقس الذي تقلده ويتحنن على رعيته في كل شيء ويتحمل ثقلهم، ويعظ الذي بلا طقس ويعزي صغيري القلوب والأنفس ولا يكافيء عن شر بشر، ولكن يكافيء عن الشر بالخير، ويؤدب كل من يخضع له ([2]).

من الذي نسأله عن أفكارنا؟ وهل نحتاج أن نسأل أكثر من شخص نفس السؤال؟

من الضروري أن تسأل شخصاً يكون لديك إيمان به، وتعرف أنه يستطيع أن يريحك في أفكارك وتكون مؤمناً به كإيمانك بالله. أما سؤالك شخص آخر عن نفس الأفكار فهذا

([1]) البستان ص ٣٠٩.

([2]) المخطوطة ٣١٥ ميامر (دير السريان).

عدم إيمان وفضول إن كنت تؤمن أن الله يتكلم عن طريق قديسيه لماذا تتشكك؟ وما حاجتك لأن تجرب الله بسؤالك شخص آخر عن نفس الشيء؟! ([1])

إن كان أخ ساكن مع شيخ ولم يكن في الشيخ كفاية أن يجيب عن أفكاره أيسأل شيخاً آخر؟

إن كان الأخ يعلم أن أباه يحب أن ينفع نفسه فينبغي أن يقول له يا أبي أُحارب بالأفكار فأي شيء ترى لي. والشيخ حينئذ من نفسه مثل إنسان له ابن عليل يأخذه بسرعة إلى طبيب بل ويعطي عنه أجراً، فيأخذه إلى رجل يعلم أن عنده نعمة أو يبعثه إليه.

وإن كان الأخ يعلم أن معلمه لا يحتمل هذا فلا يقول له شيء. ويمضي إلى شيخ روحاني ويسأله عن أفكاره ويطلب إليه أن لا يخبر بذلك معلمه لئلا يكون له من ذلك حزن عظيم ويحذر التلميذ أن لا يشك في معلمه إذ ليس معه مثل تلك النعمة التي لن تعطى للكل فإن فتش معلمه فهو لا محالة يجد نعمة أخرى، لأن نعم الروح المعطاة للقديسين هي مختلفة. واحد هكذا. وأما إن لم يتفق له وقت يسأل فيه شيخاً آخر فيثبت كما هو مبتهلاً إلى الله أن يعينه.

([1]) القول ٦٧.

لا يكتم واحد منكم أفكاره لأن فرح الشيطان هو أن يكتموا أفكارهم لكيما يهلكوا أنفسهم.

فإذا أخبرك أحد منهم عن أفكاره فقل أنت في فكرك يا ربي الذي فيه الخير والخلاص أعطني أن أقوله له وتكون كلمتك كما هو مكتوب الذي يتكلم فبمثل كلام الله يتكلم وإن كنت لا نبي ولا صديق وقبلت أن يجيء إليك مثل نبي وصديق فأجر نبي وصديق تأخذ.

الذين يريدون أن يسلكوا طريقاً ما إن لم يسيروا مع من يريهم الطريق من بدايتها إلى نهايتها لن يستطيعوا الوصول إلى المدينة، فإن لم يترك التلميذ رغباته خلفه، ويخضع في كل شيء ويتضع لن يبلغ مدينة السلام. أما الذي لا يفعل رغباته ولا يجادل بكلمة فإنه يستريح (١).

٣ - الاعتراف والإرشاد الروحي

يقول الكتاب اصنع كل شيء بمشورة، وبدون مشورة لا تفعل شيئاً لأنه ليس أحد غير محتاج إلى مشورة غير الله وحده الذي خلق الحكمة.

(١) البستان ص ١٨٣.

سؤال كيف يستطيع إنسان خاطيء أن يبتغي الرب في كل حين؟

الجواب قد طلبت من الله أن يعرفني جواب سؤالك. فقال لي طهر قلبك من كل أفكار الإنسان العتيق وأنا أعطيك سؤالك. لأن مواهبي إنما تكون في الأطهار ولهم تُعطى. ومادام قلبك يتحرك بالغضب والحقد وسائر الأوجاع العتيقة فهنالك لا تكون الحكمة، وإن كنت تشتهي أن تنال نعمتي ومواهبي فأخرج العدو وأبعده عنك ومواهبي تأتي إليك. ألا تسمع أن عبداً لا يقدر أن يخدم ربين فإن كنت تخدمني فلا تخدم الشيطان، وإن خدمت الشيطان فلا تظن أنك تخدمني. فمن يريد أن يستحق مواهبي فليتفطن في أموري ويأتي ورائي لأني مثل الحمل الذي لا شر فيه. قبلت الأوجاع كلها ولم أقاوم منها واحداً بتردد.

ولكن أوصيت أن يكون لكم وداعة مثل الحمام فاتخذتم لأنفسكم عوضها التشامخ.

أنظروا لئلا أقول لكم امضوا عني إلى ناركم التي أضرمتموها(١).

(١) مت ٢٥: ٤١.

وعندما سمعت أنا هذا كنت نائحاً وباكياً حتى يتحنن علـيَّ بصلاحه وينجيني من شرور الإنسان العتيق وأبلغ إلى الإنسان الجديد. لكيما اقبل كل ما يأتي عليَّ بشكر وصبر كثير، وحينئذ أعلم ماذا أعمل فصلي عليَّ يا أبي ([1]) لكيما أهرب من سقطة تزكية نفسي.

أتاه إنسان ليأخذ تدبيراً روحياً

أجابه قائلاً: يا ابني يكون قانونك بأن تجلس وتتفطن في أفكارك بخوف الله، وتقول كيف ألقي الله. كيف أجزت زماني بالتواني فلا أقل من أن أتوب من الآن إذ اقترب موتي. وأحتمل قريبي وجميع ما يأتيني منه من البلايا والأحزان حتى ينظر الرب ويعمل معي رحمة ويسوقني إلى عدم الغضب ويطرد عني الحسد ابن إبليس المحتال. وقد مضى من أيامك ما فيه الكفاية. فتش أفكارك وقاومها إذ جلبت عليك البلبلة ([2]).

سؤال يا أبي هوذا الأخ يقاومني بشدة جداً، ولا يرجع ولا يشفق عليَّ البتة فبماذا تأمرني؟

([1]) صلي من أجلي.

([2]) المخطوطة ١٦٧ نسكيات (دير السريان).

الجواب يا أخي أندريا أنا أعجب من قولك ومن قلة رأيك حيث تظن هكذا ببساطة أن الشيطان يسكت أن يجرب أحداً. ألا تعلم أن الذين يصرعون ويندبون أن السبب ليس منهم بل هو من الشيطان. كذلك الذين يحركهم الشيطان بالرياء والحقد هل تقدر أن تقول أن السبب منهم؟ أنه من الشيطان. فتفطن في هذا الكلام وتفهم لأنك أنت أيضاً لا تفهم حركات العدو وما تفهم خطاياك، ولكن بحدة تنظر وتفهم خطايا غيرك أعني أخاك ومناقصك أنت لا تذكرها. ألم تسأل منذ أيام قليلة عن الاتضاع وقيل لك أن تحسب نفسك تراباً ورماداً فالتراب والرماد لا يغضب على أحد قد حركه العدو بغير شفقة وخاصة وقد طعنت في السنين وفي الإسكيم وفي الكهنوت، والواجب على القوي أن يحتمل الضعيف وتقول إني أستاهل هذا والذنب هو لي فإنْ كنت تقول ولا تصبر فقولك باطل. قل لي من أنت حتى أخذت لك عينين تبصر بهما أوجاع غيرك. فالرجل الذي يخبر بالأمور التي تفوق القدر الواجب عليه أن يهذي ويتشاغل حتى ينسى من اشتغاله بها أكل الخبز وأنت بعدما ذقت هذه الحلاوة وغير مشتاق إليها كما يصلح لها. ولولا ذلك لما كنت تحزن من مثل هذه الأمور. أذكر لعازر وكم سنة صبر وهو شاكر الله؟!

فلا تنسى ما قلته لك وأعلم أن هذا هو من حسد العدو لك. ولي إيمان بالله أنه لا يقوى عليك.

سؤال إن شعرت أنني أحزنت إنساناً هل أنتظر أم أطلب منه الغفران؟!

الجواب إن جاء الأمر إلى الظهور قل له الحق وأطلب الغفران وإن كان الأمر ما عُرف فليس السكوت رديء لكي لا نسبب له حزناً، وهكذا صموئيل النبي عندما ذهب ليمسح داود أخذ عجلة وكأنه سيذبح للرب لكي لا يعرف شاول.

صلي من أجلي يا أبي فإني وقعت في الفنطاسيا (الخيالات).

الجواب: قال الشيخ يا أخي أندريا لنصرخ مع الرسول ونقول يا لعمق وغنى وحكمة معرفة الله وكيف أحكامه لا تفحص ولا تحد أثر طرقه. وكيف يمنعنا ويقطعنا من أن نفتخر بنفوسنا فلا يكون في عقولنا أن حريتنا تخلصنا ولكن نعمة صلاحه كما قال الرسول " أنكم بالنعمة مخلصون ". **ولهذا يدعنا الله نقع في الفنطاسيات والأوجاع والنجاسة لكيما نعرف ضعفنا.** وأين نحن بعد، وهذا هو من نعمة الله علينا أن يصل بنا لما فيه الخير لنفوسنا لكيما لا يكون رجاؤنا بنفوسنا ولكن نتكل على الله. ولا تظن أني قلت لك أن هوى الله أن نقع في الفنطاسيات أو في الأوجاع الأخرى لا يكون ذلك، بل من أجل استرخائنا وغفلتنا يدع هذه الأشياء تصيبنا لكثرة .. ومحبته للبشر ولكثرة شرورنا يسبب لنا خلاص التواضع. فما

تظن أن الأوجاع سبب خلاصنا ولكن لتحننه ولكثرة تدبير وجوه خلاصه ([1]).

أنظر كيف ينبه عقولنا لكيما نذكر أن نقول " لولا أن الرب كان معنا عندما قام الناس علينا لابتلعونا " ([2]) ولولا أن الرب أعانني لكانت نفسي قد سكنت الجحيم. وما يتلو ذلك فإذ علمنا أنه لأجل ضعفنا واسترخائنا يصيبنا هذا فنحرص بجهدنا حتى لا نقع في مثل هذه الأوجاع بل ينجينا منها. إذ قد فعل هذا بالرسولين الكريمين بطرس وبولس ونزع قوته منهما قليلاً حتى عرفوا أنهما بشر أحدهما وقع في التجديف ([3]) والآخر أنزلوه من الطاقة في زنبيل حتى يتعلما أن لا يكون اتكالهما فيما بعد على نفوسهما ولكن ليكن اتكالهما على سيد الكل. فأنت الآن اعلم من تكون وأين أنت؟! **وأعذر إخوتك في زلاتهم ولا تدنهم بل دن نفسك واتضع بالحقيقة ليس قدام الله فقط بل وقدام الناس أيضاً.**

وألق كل همك على الله لأنه يستطيع أن يعمل ما يشاء وما لنا فيه المنفعة بما يفوق القدر ويفعل معنا حسب ما وعدنا ولا

([1]) عن المخطوطة ١٦٧ نسكيات (دير السريان العامر).
([2]) مز ٢٣.
([3]) إنكار المسيح (مت ٢٦: ٧٤).

يرد سائليه المكرمين عنده. الذي به ومن أجله اعتقوا نفوسهم من كل أمور الإنسان العتيق وسمعوا منه بفرح القول الذي لا ينطق به القائل لهم وحدهم وكل من حملوا نيره المقدس " ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء " (١) وأعطاهم السلطان في السماء وعلى الأرض.

فمن الآن اخدم الرب بالخوف والرعدة. مجده وأشكره بفهم لا يهدأ لأنه قد رحمك وآخرين كثيرين بصلوات قديسيه.

من أجل الصبر على الأدب

قد قلت لي أنك مريض. إن المرض للتأديب فإن كان الأدب جاء على العبد الرديء فليقبله بلا ضجر ويكف من أن يكون رديئاً، وأما إن كان غير رديء فهو يؤدب أيضاً. فإن كنت تفرح بالأدب فلست أنت رديئاً، والذي ليس هو رديء فهو حبيب كما قال الكتاب الذي يحبه الرب يؤدبه.

فتفطن واختر لنفسك الأجود لأن هذا الأمر يحتاج إلى انتباه.

---

(١) مت ١٨: ١٨.

سؤال أخبرني يا أبي إن كان ينبغي أن نخبر الشيوخ بكل الأفكار النابعة من القلب، وهل ينبغي للمصلي أن يعلي صوته أم أنه يصلي بعقله؟ (١)

قال لا ينبغي للإنسان أن يسأل الآباء عن كل الأفكار التي تنبع من القلب لأنها كثيرة جداً لكنه يسأله عن الأفكار الثابتة المقاتلة له جداً لأن الإنسان إذ سمع كثيرين يفترون عليه فإنه لا يعتني بافترائهم ولا يهتم بهم، فأما إن انتصب له واحد فقط وافترى عليه وقاتله فحينئذ يجد السبيل كي يستعد له أمام السلطان، كذلك الحال في الأفكار. أما من جهة قراءة المزامير والصلاة فلا يجب أن تقال بالعقل فقط بل بالشفتين أيضاً لأن النبي هكذا قال " يارب افتح شفتي ليخبر فمي بتسبيحك " وكما يقول الرسول أيضاً " ثمرة شفاه شاكرة لاسمه " ولا يجب أن يكون في الصلاة شيء من الأفكار الأرضية. كما ينبغي أن تُقال بالدموع والاتضاع لأن الآباء لم ينالوا شيئاً إلا بالتعب والاتضاع وأما الذي يتضع ويسألهم ويؤمن بقولهم فهو أنفع له وأنجح لأنه يسبب له الاتضاع.

سؤال قل لي يا أبي كيف أن قلبي قاسي ونومي بلا قدر وليس لي تخشع البتة؟

---

(١) بستان الرهبان ص ٣٠٩.

الجواب قال له الشيخ هذا يعرض للذين هم في السكون لكيما يفرزوا من الميدان وييأسوا من الخلاص. فأما نحن فلنلقي ضعفنا قدام الإله القادر ونسأله أن يصنع معنا رحمة وهو يعمل معنا أفضل مما نسأله ولا نزال قدامه بالطلبة حتى يسحق أعداءنا قدامنا ولا يتركهم أن يفسدوا ثمار نفوسنا وننتظر معونة سيدنا ونحن نخلص لأنه أقوى منهم.

إذا تقدمت لأخذ القربان (١) لا تفكر أنك أهل لذلك ولكن اعتبر أنك خاطيء واجعل في نفسك أن الخاطيء إذا تقدم إلى المخلص بإيمان وتحفظ حسب قوتك استحق أن ينال مغفرة الخطايا فتقدم بتوبة، واعتقد في نفسك أنك مريض وغير مستحق، بل مثل مجروح ومحتاج إلى الشفاء. وآمن أنك تتقدس بأخذ القربان إذا كنت في توبة لأن كل الذين تقدموا إليه بإيمان شفوا (٢).

سؤال أخبرني يا أبي كيف في الليل تتخايل لي وجوه وفي النهار أقاتل بوجوه أخرى ويعترضني ذلك بلا وجوه ويلحقني التلذذ بالتخايل؟

(١) الأسرار المقدسة (المخطوطة ١٦٧ نسكيات).
(٢) البستان ص ٣١٨.

الجواب قال له يا ولدي الذين يحاصرونك في النهار هم المحاصرون لك في الليل ويريدون بذلك أن يوروك (يعرفوك) أنك بعيد من تدبيرهم، ويتخايلون لك من شبه إلى شبه ومرة بتلذذ ومرة بلا تلذذ وذلك من قبل تخايلهم كما تقدمت وقلت لك لكيما يصير الإنسان إلى التحير والبلبلة. وأما قتال الليل فيكون من اللذة وما يكون من تجربة الشيطان لكيما يلقي الإنسان في اليأس ويجعله يفكر أنه ما بقى له بالجملة خلاص فمتى عرض لك هذا القتال وخيال الليل والنهار فاعمل ميطانية سبعة في سبعة وهي تسعة وأربعين ميطانية وقل على كل ميطانية يارب قد أخطأت اغفر لي من أجل اسمك القدوس وأما عمل الميطانيات (١) فيكون ذلك في القلاية وليس في الكنيسة.

فإن كنت مريضاً أو كان يوم أحد ولا يمكنك عمل الميطانيات فقل في الصلاة التي ذكرنا سبعين مرة عوض الميطانيات والفصل بين القتالين هو أن الذي يكون من الشياطين يكون من الإعجاب وأما الذي من اللذة فهو من الحنجرة (التلذذ بالأطعمة).

(١) بإرشاد الأب الروحي.

أسالك يا أبي أن تبين لي ما هي المشيئة الجيدة وما هي المشيئة الرديئة؟ (١)

الجواب قلت أن كل نياح (ارتياح) جسداني مرذول عند إلهنا لأنه قال " أن الطرق المؤدية إلى الحياة الأبدية حزينة وضيقة فمن يختارها لنفسه فهي المشيئة الجيدة، ومن أرادها فإنه يلقي بنفسه في كل أمر حزين بهواه وبقدر استطاعتك اسمع ما قاله الرسول " إني أقمع جسدي وأستعبده " (٢) فافهم أن الجسد لا يريد ذلك بل بمشيئته كان يضمره فالذي يريد الخلاص يجب أن تكون مشيئته هكذا، ومن كان كذلك فكل أموره يختلط فيها الحزن.

لا تستعمل فرشاً ليناً وتذكر أن كثيرين ينامون على الأرض وبين الشوك وإن صادفت طعاماً جيداً فاتركه وكل من الدون (الرديء) كيما تحرك على جسدك حزناً وأذكر الذين لا يذقون الخبز البتة وأذكر كذلك الألم الذي قبله سيدك من أجلك وأعط لنفسك الويل. هذه هي المشيئة الجيدة.

أما المشيئة الرديئة فهي نياح (راحة) الجسد في كل ما يطلبه منك ولا سيما إذ اتفق لك طعام غير جيد وقلت لا آكل منه

(١) البستان ص ١٦١.
(٢) ١كو ٩: ٢٧.

فهذه هي المشيئة الرديئة فاقطعها عنك وأنت تخلص. فإن انهزمت لها فلُم نفسك وزكِ (برر) أخاك (١).

صدقني يا ولدي أن نفسي قد ذابت مثل العنكبوت من التعب وأطلب أن أخلص فكيف يطغى الإنسان ويتفيح (يتلذذ) بكل شيء ويظن أنه يخلص ذاك غرور يا ولدي!

كن مثل الدواء أعني المرهم الذي يشفي الجرح ولا يتركه أن يجمع قيحاً منتناً. اتخذ النوح لكيما يبعدك من الدالة المهلكة لنفس مقتنيها. لا تطرح ذاتك التي تعمل بها ونظف أرضك خارجاً عنك لكي تثمر ثمراً طيباً، والتواضع هو الأداة المعمولة بيد الله الصانع الحكيم، وبهذا الاتضاع لا يسقط البتة صانعه لكي ينهضه من السقطة. جاهد في قطع هواك في كل شيء، لأنه يحسب لك ذبيحة كاملة.

وهذا هو الذي قيل " من أجلك نُمات كل اليوم وقد حُسبنا كغنم للذبح " (٢).

فلا ترخي نفسك في الحديث لأنه ما يتركك أن تنجح في الحياة مع الله وعذب حواسك جداً أي عينيك للنظر والسمع

(١) المخطوطة ١٦٧ نسكيات.
(٢) رو ٨: ٣٦.

والنطق والشم واللمس. فإن أنت عذبتها تخلص. لأنه بغير عذاب أيُسمى الشهيد شهيداً؟ كما قال الرب أنه " بصبركم تقتنون أنفسكم " وكما قال الرسول بصبر كثير وأحزان ... وما يتلو ذلك، أنظر لا تُري البابليين كتر بيتك لئلا يأخذوك من بعد هذا إلى بابل مسبياً، وهناك تخضع لنبوخذ نصر ملكهم (١) وتفسير هذا أن تخضع وتكتم كل شيء تعمله من أجل أعمال الخير وتتوطأ الأوجاع لكيما لا تتواطأ أنت معهم، وأتعبهم أنت بقدرتك لكيما لا يتعبوك هم بقدرهم، فر من الكل كمثل غزال لئلا يذبحوك مثل الخروف ولا تخف منهم فإنه ليس لهم قوة لأن ربنا يسوع المسيح قد قطع قوتهم وصيرهم بلا قوة فلا تنم. فإنهم وإن ماتت أكثر قوتهم فإنهم لا ينامون ولا تتهاون فإنهم لن يتهاونوا.

أعط قلبك لآبائك لكيما ينجوك وينقذوك من حمأة الشتن، أذكر أنه كثيرة هي قوة صلاة القديسين الفعالة.

الرب يريدك أن تعتبر كل إنسان أفضل منك، الطاعة لأبيك في كل شيء، واعمل كل ما يخبرك به بخصوص طعام أو شراب أو أي شيء آخر. إن افتروا عليك افرح فهذا أفيد لك. إن أهانوك احتمل لأن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص (مت

(١) إر ٣٩: ١ – ١٠.

١٠: ٢٢) قدم الشكر لله على كل الأشياء لأن الشكر هو شفيع أمام الله عن ضعفنا اعتبر نفسك دائماً وفي كل شيء خاطئاً وكإنسان ضال وهكذا لا يدينك الله.

اتضع في كل شيء فستنال نعمة

سؤال أن الأب يحزنني لأنه يعطي تفضيلاً لآخرين؟

الجواب أيها الأخ أنت الذي تجرب ذاتك. أما تعلم أنه " كل واحد يجرب إذا انجذب من شهوته " (يع ١: ١٤) لا تلم أحداً إلا نفسك ولا يكن لديك حب استطلاع عن الآخرين لأن هذا بلا فائدة لك. أنظر كيف استطاع الشيطان أن يجعل قلبك يضطرب من أجل أمر تافه! انهض إذن واستند على ذراع الله ولا تثق بأفكارك حيث يوسوس لك الشيطان أمور غير واقعة بحسب هواهم (١).

عندما تضطرب سفينة من الأمواج العاتية إن كان لها قائد فإنه ينقذ السفينة بالحكمة المعطاة له من الله. والذين يبحرون فيها يفرحون لأنها مضمونة هكذا أيضاً يبتهج المريض جداً عندما يتذكر الطبيب، وبالأكثر مهارته. كذا السالك في طرق وعرة مملوءة بمخاطر اللصوص ترتاح نفسه بأصوات الحراس وبالأكثر

(١) القول ٥٧.

في وجودهم. إن هذا هو حق كذلك كم بالحري يفرح كل شخص يسمع إجابات الآباء لا سيما إن صاحبها صلوات حارة للرب الذي يقول " صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا " يع ٥: ٦ ([1]).

إن كان الناموس الإلهي يوصي بشيء يتعارض مع القوانين العالمية. فماذا ينبغي أن يفعل؟ ([2]).

إن ناموس الله أهم لأنه يتكلم عن خلاص النفس الخالدة. أما قوانين العالم إذ هي من الجسد تتكلم للجسدانيات.

إن الذي يسأل الآباء يشبه المسيح الذي " إذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب " (في ٢: ٨)، والإنسان الذي يعيش بلا مشورة هو عدو لذاته لأن الكتاب يقول " لا ترم نفسك في طريق لم تُختبر " (سي ٣٢: ٢٥)، فمن الأفضل أن تسأل باتضاع أفضل من أن تتبع مشورة نفسك. لأن الرب نفسه يضع الكلمات المناسبة في فم الذي يجيبك بحسب الأمانة والاتضاع في قلب السائل ([3]).

([1]) القول ٧٩.
([2]) القول ١٧.
([3]) القول ١٢٦.

أنا الآن لي خطايا كثيرة وأريد أن أتوب، ومن أجل ضعف الجسد ما أقدر أن أتمسك بنسكيات الآباء. فأنا أسألك أن تخبرني كيف ينبغي لي أن أبدأ، وأوضح معنى لا تُري للبابليين كنوز قلبك؟.

الجواب إن كنت تريد أن تضع بدأ للتوبة وتلحق المخلص فافهم ماذا عملت الزانية إذ بدموعها غسلت قدميه. فالنوح يغسل الإنسان من خطاياه، والإنسان ينال ذلك بتعب وهذا يأتي بكثرة الهذيذ وذكر الدينونة المرهوبة والحزي في ذلك الزمان. ويفر الإنسان بنفسه كما قال الرب الذي يريد أن يتبعني فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني ([1]) فنكران الإنسان لنفسه وحمله الصليب هو أن يقطع الإنسان هواه في كل شيء. وهذا هو بدء الخلاص.

ولأنك قلت لي أن جسدك ضعيف فاعمل بقدر قوتك، وأترك كعكة واحدة وقدح ماء من مجازك ([2]) لأن الله قبل الأرملة وفرح بها أكثر من كل العطايا الأخرى.

([1]) لو ٩: ٢٣.
([2]) أي أترك خبزة وكوب ماء من غذاءك اليومي.

فأما لا تُري للبابليين كنوز قلبك فهو أن الشياطين إذا أبصروا ذلك هاجوا عليك وقاتلوك بالسبح الباطل. فتحفظ أن تكتم كل عمل صالح تعمله فإن في ذلك منفعة.

من أجل الدوام في الهذيذ

ابتدأ والله يعينك ويقويك فلا تفزع، ولكن ازرع بالرجاء حتى تحصد. ولا تنحل من التعب لأن بتعب القلب تقتني الصلاة بحرارة، والله يعطيك هذا. ولكن النسيان يطرده والنسيان من التهاون يولد. إذ كل موهبة تعطى لمن يطلبها وبوجع القلب تكون.

سؤال إن سألني أخ عن كلمة أو عن أمر من الأمور وكنت أفهمه أو سمعته أو جربته هل أجاوبه عنه أم لا ؟

الجواب كل هذا السؤال واحد وجوابه واحد أن لا يكون قولك بالسبح الباطل، بل باتضاع وخوف الله وكذلك أيضاً عندما تُسأل فقل إذا كان الأخ في احتياج لذلك ولكن يكون هذا في ديرك فقط وليس في موضع آخر. فتكون مع الذين يسكنون دير كنوبيون كمذكر وليس كمثل معلم. ولا تقل شيئاً من قبل نفسك إلى أن تسأل. فإن سئلت أجب بتواضع والله يا أخي يفهمك.

والذين هم تحت الناموس فهم تحت مؤدب ويحتاجون إلى الرياضة فأما إذا مت عن العالم مثل الأب نستين فعند ذلك تستطيع أن تقول " إني لست شيئاً " ويجب أن تتفطن لأفكارك وتقول لنفسك كيف أجزت الليل وكذلك عند المساء تقول كيف أجزت النهار ... وإذا ثقل عليك فكر فتفطن فيه من أين . ءك وإن سألك شيخ مسألة (سؤال) فليس هو جيد أن تقول له شيء أكثر من اغفر لي لست أدري.

المعرفة الكاذبة

هي أن يصدق الإنسان فكره إذ أوحي له أن هذا الأمر هو هكذا، فالذي يريد أن يفلت منها لا يصدق فكره، ولكن يسأل شيخ عنه.

سؤال إن بان لي أمر أنه جيد مثل أن أمسك (أصوم) أو أسكت أو أعمل بإنسان خيراً أو غير ذلك فهل أعمله من نفسي أم آخذ مشورة الآباء؟

لجواب كل من لا يأخذ مشورة الآباء آخرته تكون رديئة، وهو يعصى الوصية التي تقول (كل شيء يا ابني اعمله بمشورة) وأيضاً قال (اسأل آبائك فيخبرونك ومشائخك فيقولوا لك) وما نجد البتة أن الكتاب يأمر أحداً أن يعمل شيئاً من قبل نفسه، الذي لا يأخذ المشورة فهو من الإعجاب والذي يفعل هذا يأخذ

مقام الله لأن الله يرفض المتعظمين ويعطي المتواضعين نعمة، ومن هو المتضع إلا الذي يحني عنقه للشيوخ ويأخذ مشورتهم بخوف الله.

٤ - تذكر الموت والنوح

غرباء نحن فلنكن بالكمال، ولا نحسب أنفسنا شيئاً، ولا نشاء أن يحسبنا أحد فنتنيح. جاهد أن تموت في القبر من كل إنسان وقل لفكرك لقد مت ووضعت في القبر وأنت تخلص وليس غلق الباب هو الموت بل غلق الفم والطاعة وهي أيضاً مطفئة لجميع سهام العدو المحماة (١).

أنظر لنفسك واعلم أن الموت لا شك سيأتيك. وقل لنفسك القول الذي يقوله القديس أرسانيوس أرساني أرساني أنظر الأمر الذي بسببه خرجت إلى البرية أنظر أي شيء جئت تعمل ههنا. فإن كنت تطلب المسيح فأسرع لتدركه فإن أردت أن تنجو فحرك رجليك حتى تلحق بمجمع الآباء القديسين، إن كنت جئت لتنجو فاعمل كي تكون في النور لا في الظلمة وصرير الأسنان.

أطلب أن تكون مسبح مع القديسين في التسبحة التي لا ينطق بها. ولا تكون مع الأشرار الذين في العذاب الأليم. اشتاق أن

(١) البستان ص ١٦١.

تكون في ملكوت السموات لا في عذاب جهنم، اشتاق أن تسمع الصوت القائل " هلموا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم " ولربنا السبح دائماً إلى أبد الآبدين.

النوح الحقيقي (١) المصحوب برقة المشاعر يمحو الآثام الماضية ويغسل الدنس، المناداة الدائمة لاسم الله تحمي الإنسان الذي اقتناها وتبعد الضحك والتشتيت، وتوصل إلى انسحاق دائم في القلب. إنه الدرع الذي يصد كل سهام الشرير الملتهبة (أف ٦: ١٦)، فالذي ملك هذا الدرع صار في مأمن من كل المخاطر أن كان بين الناس حتى ولو وجد نفسه بين الزناة.

النوح غير الكامل (٢) يأتي ويذهب بحسب الفكرة في (الغيرة على) الخلاص. حين تثور أو تموت، ولكن حينما تصبح الحرارة دائمة ذو رقة عظيمة، ودائمة المشاعر، وبالتبعية هذه تقوده إلى النوح الحقيقي، هذا هو النوح الذي ينبغي لكل واحد أن يحث نفسه على اقتنائه.

ما يقدر إنسان بلا تعب ولا انتباه ولا نوح أن يستبعد اللسان والدالة والبطن وكل الأوجاع، فبالاتضاع يتسلط عليها وبتعب يقتني الإنسان النوح.

(١) القول ٨٩ المترجم.
(٢) القول ٩٠.

سؤال : إن كان كما قلت بالنوح يقتني الإنسان هذا، فإذا كنت أدخل وأخرج واهتم بالخدمة فكيف يمكنني أن أحفظ النوح وأخبرني إن كان نوح بلا دموع؟

الجواب ليس النوح بالدموع يكون ولكن الدموع بالنوح تكون، والذي يكون بين الناس وإذ هو قطع هواه و لم يلتفت إلى خطايا الناس فقد اقتنى النوح لأنه من هذا تجمع أفكاره وإذا هي ما اجتمعت ولدت في القلب الحزن والحزن يلد الدموع.

النوح ([1]) يغسل الخطايا، وبتعب كثير يصل الإنسان إليه، إذ لا يأتي البكاء إلا بكثرة الهذيذ وتذكر الموت، والدينونة المرهوبة، والعذاب الدهري، وأن تفكر في خطاياك وتقطع هواك وتحمل الصليب.

كل من يجعل الموت ([2]) مقابلة كل حين فإنه يغلب الضجر وصغر النفس.

لا تنم يا ابني لكيما لا يبغتك الذي يقول " هوذا الختن قد أقبل فاخرجن للقائه " ([3])، وكيف تقول عند ذلك أنني مشغول وقد صيرك بلا هم، وأنت لا تريد، قد نيحك وأنت تريد

([1]) البستان ص ٣١٩.
([2]) البستان ص ٣٢١.
([3]) مت ٢٥: ١ – ١٢.

السجس، ولن ينتظرك الزمان أن تنوح على خطاياك أنظر أنه قال يغلق الباب فأسرع لئلا تبقى خارجاً مع العذارى الجاهلات.

انتقل بفكرك من هذا العالم الباطل إلى العالم العتيد، أترك الأرضيات وأطلب السماويات دع الباليات واتخذ الباقيات. اهرب بفكرك من هذه الزمنيات إلى الأبديات.

مت بالكمال لكيما تحيا بالتمام بالمسيح ربنا ([1]).

٥ - احذر اليأس والملل

سأله مرة تلميذه قائلاً:

يا أبي من أي شيء يكون الملل، وماذا ينبغي لي أن أعمل إذا أتى إليّ؟

قال له هناك الملل طبيعي من الضعف، وهناك ملل من الشيطان. فإن أردت أن تجرب ذلك فهكذا هو : الملل الذي من الشيطان إذا جاء على الإنسان فهو يجيء من قبل الوقت الذي يحتاج الإنسان أن يستريح منه، كمثل إنسان في عمل يعمله قبل أن يبلغ ثلاث ساعات أو أربعة يحثه أن يتركه ويقوم. فينبغي للإنسان أن لا يقبل منه، لكن ليصنع صلاة ويدوم في عمله لأن

([1]) البستان ص ٣٨٢.

العدو إذا ما أبصره قد عمل صلاة من أجل ذلك يكف عنه لئلا يصير له سبباً للصلاة لأنه يكرر ذلك. فأما الملل الطبيعي فهو : إذا تعب الإنسان فوق حده وكلف نفسه أن يزيد على ذلك العمل والتعب. فمن هذا يكون الملل الطبيعي، من ضعف الجسد، ينبغي للإنسان أن يجرب قوة جسده ويستعمله بخوف الله.

وقال أيضاً إذا تقوى الملل على الإنسان فبتعب كثير يدفعه عنه، أو بصلوات تصلي من أجله من آخرين.

سؤال : يا أبتاه إن عرض لي نعاس من الملل ومنعني من العمل الذي أعمله أفينبغي لي أن أقوم أو أصبر جالساً؟

قال : قم ولا تكف يا ولدي بالطلب لله وهو يدفعه عنك.

حدث مرة لأخ آذاه اللصوص فخاف جداً وبمعونة الله خلص فأخبر الشيخ عن انزعاجه وسأله أن يصلي عليه. فقال الشيخ يا ولدي أن الله لا يتركنا إن لم نتباعد عنه لأنه يقول " لا أتركك لا أهملك " ولكن قلة إيماننا هي التي تجعلنا نجبن ونخاف من اللصوص فيجب ألا نخافهم إن حضروا إليك حتى ولو كانوا من مركبات فرعون وجنوده.

وقد علمت أنهم بكلمة الله وعزته قد غرقوا في البحر، ألا تذكر المكتوب عن الذين جاءوا لأخذ أليشع كيف أصابهم العمى والكتاب القائل " **الرب يحفظك من كل سوء، الرب يحفظ نفسك، الرب يحفظ دخولك وخروجك** ".

وكيف ننسى القائل " عن عصفوراً لا يسقط على الأرض بدون إذن أبيكم السماوي، وكم أنتم أفضل من عصافير كثيرة " والجبن هو وليد قلة الإيمان، وهو منتهى قلة الرجاء. وهو يرضي القلب ويجتذب الناس من الله إلى بلدة الهلاك، فلنفر منه يا ولدي ولننبه يسوع ربنا النائم فينا قائلين يا عظيمنا خلصنا، وهو ينتهر الرياح ويسكن الأمواج، لنترك الآن القصبة المرضوضة ونلتمس عصا الصليب التي شقت البحر وأغرقت فرعون العقلي ونتكل ملقين أنفسنا على الذي صلب من أجلنا، لأنه يعرف كيف يرعانا نحن غنمه ويطرد عنا الذئاب الرديئة. يا ولدي إني لمتعجب منك كيف تفزع من العبيد الوقوف خارجاً، ولا تفكر في السادة الذين هم من داخل. لأن اللصوص المحسوسين هم عبيد الشياطين اللصوص الفعليين، **فينبغي لك أن تعرف بالنعمة أن اللصوص أتوك ولكن المسيح لم يتركك، فأسرع أنت في طلبه**، واسأله أن يعينك لأنه مكتوب " الرب قريب من الذين يدعون والذين يرغبون إليه بالاستقامة، وهو يصنع مشيئة خائفيه

ويسمع طلباتهم ويخلصهم فاقترن بسيدك ملتصقاً به، وهو يطرد عنك كل الأقوياء ويبطل قوتهم " (١).

قبل كل شيء احترس من روح اليأس (٢) الذي يتولد فيه كل شر وتجارب كثيرة، لماذا تستسلم للقنوط (اليأس) من أجل بعض الأتعاب التي سببها لك قطيع المسيح؟!

أصغ لكلماتي بانتباه " أن طول الأتعاب هي أم كل البركات " تأمل موسى الذي اختار أن يُذل مع شعب الله عن أن يكون له تمتع وقتي بالخطية (عب ١١: ٢٥).

الخطية التي للموت التي قال عنها الكتاب هي اليأس أي أن الإنسان يقطع رجاءه وييأس من رحمة الله.

٦ - الاهتمام بخلاص النفس

سأل أخ عن الذي يريد أن يخلص حقاً

قال الذي يريد أن يخلص بالحقيقة يجب أن يكون بسيطاً مع الناس ليحتمل الشتم والاحتقار والهوان، وبعد ذلك يتقدم إلى السكوت الكامل لأن ربنا يسوع المسيح له المجد هكذا عمل باحتماله أولاً هذا كله وصعد بعد ذلك فوق الصليب المقدس،

(١) البستان ص ٣٠٤، ص ٣٠٥.
(٢) قول ٥.

وهذه ميتوتة الجسد والأوجاع التي بها كمال الهدوء. إنك يا نفسي الشقية لست تعرفين واحدة من هذه الأشياء بل ومن ضعف أوجاعي (١) كنت شكاً للكل وسجساً للناس.

سؤال عن علاج قلة الإيمان

يا ولدي إن دواء قلة الإيمان أن تؤمن بالله بلا شك، وإن كنت تريد الخلاص فاقتن الاتضاع البالغ والطاعة في كل شيء لأنهما يقلعان أصول الأوجاع فما أحتاج أن أكتب لك لأنه بكلمة واحدة أوضح لك دوائهم. لأن الرب قال " أنا أسكن في المتضعين " ولأجل هذا نتحقق أن العدو واللصوص لا يقدرون أن يأتوا إلى موضع يكون فيه السلطان، وأما من أجل النسيان وسائر الأوجاع فسخن قلبك ونبهه بخوف الله من النوم العقلي، وإذا سخن وحمى أخذ شوقاً من أجل الخيرات العتيدة، وحينئذ يكون هذيذه فيها ومن ذلك الهم (الانشغال) ينتزع النوم المحسوس من عينيك حينئذ تقول في هذيذي تشعل النار. لأن كل الأوجاع تحترق من النار الروحانية، ولا ينبغي لأحد أن يلعن أحداً لأن ربنا قال " باركوا ولا تلعنوا " (٢) فإن كنت تريد النجاح فأطفيء الغضب واخضع في كل شيء، واقتن الحب

(١) كثرة أوجاعي.
(٢) رو ١٢: ٤.

والرجاء مع الاتضاع، واحرص في قطع الغضب والحرد فإنهما يأتيان على الإنسان بالتجديف والهلاك واتخذ الاتضاع الذي منه يهرب الشياطين، واستعمل الطاعة التي تأتي بابن الله ويسكن في الإنسان، واستعمل الإيمان الذي يخلص الإنسان والرجاء الذي لا يخزى والحب الذي لا يترك الإنسان أن يبتعد عن الله **واعلم أنك إن لم تتضع لن تطيع وإن لم تطيع فلن تحب، وإذا لم تحب فلن تؤمن وإن لم تؤمن فلن ترجو** والذي يريد أن يخلص فليقطع هواه في كل شيء ويكون له التواضع ويضع الموت بين عينيه.

سؤال لا أستطيع أن أسلك كما عمل الآباء بسبب ضعف الجسد؟ (١)

إن كنت ضعيفاً ولا تستطيع أن تحتمل كثيراً، اعمل بقدر قُوتَك وتناول قوتك واشرب أقل قليلاً مما تحتاجه. لأن الرب قبل فلسي الأرملة وسُر بعطيتها أكثر من كل العطايا الأخرى، علم نفسك أن تكون ضابطاً لنفسك في سلوكك تجاه الآخرين وأنت تخلص.

أريد أن أخلص ولكنني لا أعرف طريق الخلاص ؟

(١) القول ٦٠.

أيها الأخ أن الله قد بين لنا طريق الخلاص من الأسفار المقدسة والآباء قائلاً " اسأل آباءك فيخبروك وشيوخك فيقولوا لك " (تث ٣٢: ٧).

لأنك إن أردت أن لا تضل الطريق لا تفعل شيئاً إلا بعد سؤال آبائك الروحيين، وسوف لا تخطيء شكراً لله لنعمته " الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون " (١تي ٢: ٤).

إن كان الإنسان (١) لا يجاهد حتى أقصى درجة من قوته ولا يضيف محاولاته الخاصة إلى صلوات القديسين فإنه لا ينال أي كسب إن كان لا يصلي من أجل ذاته فإن كانوا يصومون ويصلون من أجله وهو ذاته غارق في الشهوات ويعيش في حياة الأغلال، فأي فائدة يمكن أن تؤديها له الصلاة من أجله لأن هنا تتحقق كلمات الأسفار المقدسة واحد يبني وآخر هدم فماذا انتفعنا سوى التعب (سي ٣٤: ٤) والرسول يقول طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها (يع ٥: ١٦) فحينما يصلي رجل بار قديس من أجل إنسان خاطيء على الخاطيء أن يساعد صلاة البار بالتوبة على قدر طاقته.

إن كنت تريد الخلاص حقاً

(١) القول ١١٣.

أظهر الطاعة في العمل ارفع عقلك عن الأرض، وارتفع بفكرك للسماء وهناك داوم في أفكارك ليلاً ونهاراً، في الوقت ذاته اشتاق بكل قوتك أن تعتبر ذاتك حقيراً، محاولاً أن ترى ذاتك في كل شيء أقل من جميع الناس. هذا هو الطريق الصحيح، ولا يوجد طريق آخر للإنسان الذي يريد أن يخلص بالمسيح يسوع الذي يقويه (في ٤: ١٣).

اركض يا من تريد لكي تنال (١كو ٩: ٢٤) هذا قد اختبرته أمام الله الحي الملتهف أن يعطي حياة أبدية لكل شخص يريدها.

إن كان العمل الداخلي مع الله لم يساعد الإنسان فإن محاولاته الخارجية ضائعة سدى لأن العمل الداخلي بقلب منسحق يجلب نقاوة، **والنقاوة تجلب سكوناً حقيقياً للقلب، وهذا السكون يجلب اتضاعاً والاتضاع يؤهل الإنسان ليكون مسكناً لله** بقوة الإله الساكنة في الإنسان تخرج كل الأوجاع الرديئة والشياطين خارجاً ويصبح الإنسان هيكلاً لله، مملوءة قداسة ونوراً ونقاوة ونعمة.

طوبى لمن يتأمل الرب في أعماق قلبه النقي ويسكب صلاته مع بكائه لمحبة الرب الرحيم.

لا تصدق أبداً فكرك إذا زرع فيك شيئاً. حتى تسأل عنه الآباء. تمسك بالاتضاع الكثير والطاعة والخضوع، واقطع هواك في كل شيء، فإنه من دون هؤلاء ما يخلص أحد.

من أجل المسكنة في الحياة مع الله

هي أن تقول يا الله إني قد عملت شروراً كثيرة (١)، وأنا في الحمأة غارق فماذا أعمل؟

أخبرني كيف أخلص؟

الله الذي يبصر تواضعك يلقي في فم الذي تسأله أن يقول لك كيف تقتني الاتضاع أول شيء، والطاعة والصبر وطول الروح، والسلام والحب للكل. وأن تنكر نفسك أي لا تقيم هواك، وأن تحمل صليبك في كل ساعة وتلحق سيدك، وأن تموت عن كل إنسان، ولعله يقول لك أنه ليس طريق آخر للخلاص يعادل هذه كما قال الرسول " الذي مات فقد تبرر من الخطية " والرب يرحمك (رو ٨: ١٣).

إن غلب الإنسان بالله في التجربة الأولى فلن يقوى عليه العدو فيما بعد، أما أن انغلب فيها فإن العدو متى أراد أتى به إلى عبادة الأصنام.

---

(١) يقول القديس أنطونيوس " يلتصق الشر بطبيعتنا كالتصاق الصدأ بالحديد وهو ليس من صنع الحداد هكذا الشر ليس من الله ".

الباب الثاني

الصلاة

" أما أنا فصلاة " مز ١٠٩: ٤

١ - ما هي الصلاة؟

الصلاة الكاملة هي أن تخاطب الله بلا طياشة عقل، ولا سجس العالم، لأن المصلي الكامل قد مات عن العالم، أن يكون العقل والقلب متيقظاً، لا تتهاون (١) بأفكارك وإذا قاتلك العدو بالفكر فلا تلتفت إلى قتاله لأنه يريد بذلك أن يشغلك عن مخاطبة الله (٢) وكل شيء تعمله من أمورك ليكن بلا طياشة وبحرص من أجل الله.

سأل أخ قل لي يا أبي إن كانت الصلاة دائمة فما حدها؟ وهل ينبغي لي أن آخذ قانوناً إزاءها؟ (٣)

أجاب افرح بالرب يا أخي، افرح بالرب يا حبيبي، افرح بالرب أيها الوارث معي، إن الصلاة الدائمة تكون للذين قد

(١) يقصد القديس هنا ألا يتهاون إطلاقاً لئلا يعتاد التهاون ويتكرر سقوطه (البستان ص ٣١٤).

(٢) البستان ص ٢٦٩.

(٣) البستان ص ٢٧٤.

كملوا وصاروا حد انعدام الأوجاع عنهم لأنهم إذ بلغوا ذلك عرفوها، لأن الروح يعرفهم كل شيء. إذ يقول الرسول أننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها (١) وماذا ينفعك إن وصفت لك مدينة رومية وأنت لم تدخلها بعد؟!

إن الإنسان الساكت يستمر وليس عليه قانون، ولكن كن مثل إنسان يجوع ويأكل ما يلذ له فإذا جاءتك شهوة القراءة وأحسست تخشعاً في قلبك فاقرأ ما أمكنك، كذلك في تلاوة المزامير افعل هكذا وتمسك بالشكر، وقل يا إلهي ارحمني. تقو ولا تفزع لأن مواهب الله ليس فيها رجعة، أترك عنك من اليوم الاهتمام لأنك بعدم اهتمامك بشيء من الأشياء تصير قريباً من الله ومن مدينة القديسين وإذا لم تحسب نفسك شيئاً صيرك ذلك متحداً بالله. وكلما أطفأت حرارة الغضب ساعد ذلك على دوام سلامتك.

صلاة " أبانا الذي في السموات .... " أمر للصالحين والطالحين أن يصلوا بها، أما الأبرار فإنهم يعرفون لمن قد صاروا له بنين ويحرصوا ألا ينحطوا من بنوته، وأما الخطاة إذ هم دعوه

(١) رومية ٨: ٢٦.

أباهم إذ هم بأعمالهم مراراً كثيرة يفترون عليه، فيستحوا ويأتوا إلى التوبة.

سؤال إذا طلب مني أحد أن أصلي له. أينبغي أن أصلي له أم لا؟ ([1])

أجاب جيد أن تصلي لكل من يسألك لأن الرسول يعقوب يقول " صلوا بعضكم لأجل بعض " ([2]) وقد صلى أناس لأجل الرسل على أن تفعل ذلك كمن هو غير مستحق ولا دالة له.

سؤال هل جيد يا أبي أن نقر لأحد الإخوة بالفنطاسيات (القتالات) ونبتغي منه صلاة من أجلها؟

الجواب جيد أن نقر لمن له قوة أن يسمع ولا يقال للشباب وأما ابتغاء الصلاة من كل أحد فهو جيد لأنه هكذا مكتوب " اعترفوا بخطاياكم بعضكم لبعض وصلوا بعضكم لأجل **بعض**"([3]).

أخبرني يا أبي إذا فرغ الإنسان من صلاته هل يصلي فيها من أجل سلام الكنيسة والملك والجند وكافة الشعب من

([1]) البستان ص ٢٦٦.
([2]) صلوا لأجل الآخرين.
([3]) يع ٥: ١٦.

الأغنياء إلى المساكين. وإن سأله إنسان أن يصلي لأجله وخاصة إن كان به وجع خاطيء أيصلي لأجله أم لا؟

الجواب جيد أن يذكر الإنسان ما ذكرته جميعاً لكن يكون ذلك بمثل من هو غير مستحق وجيد أن تصلي لكل من سألك لأن الرسول يقول صلوا بعضكم على بعض لكيما تشفوا، والذي يتغافل عن الوصية فهو مدان. فإن كنت أولاً تقدر فكلف نفسك من أجل الوصية وأيضاً صل من أجل خطاياي([1]) لأنه مكتوب " وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا " (لو ٦: ٣١).

الاقتراب من كمال الصلاة حينما يتحرر الإنسان من تشتيت الفكر، ويرى ذهنه مضيئاً في الرب، وممتلئاً فرحاً، والإنسان يكون قد بلغ الكمال في الصلاة إن أمات نفسه عن الدنيا وكل لذاتها. أما إن أتم الإنسان عمله باجتهاد من أجل الله فلا يكون تشتيتاً بل الكمال الذي يرضي الله ([2]).

كم مرة ينبغي أن نصلي كي نأخذ إرشاد الله في فكر أو عمل معين؟ ([3]).

([1]) القول ١٧.
([2]) القول ٢٤.
([3]) القول ٧٧.

إن كنت لا تقدر أن تسأل الآب صلي ثلاث مرات عند كل عمل، حينئذ اختبر أين يميل قلبك حتى ولو قيد شعرة، وافعل كذلك لأن القلب مستيقظ للنصيحة وفهمها بوضوح.

كيف نصلي ثلاث مرات. هل في أوقات مختلفة أم في وقت واحد؟ ([1])

أحياناً لا يستحيل التأجيل. فإن كان عندك وقت صلي ثلاث مرات في غضون ثلاثة أيام ولكن إن كانت بلجاجة كما كان أثناء آلام المخلص اتبع مثاله، عندما اعتكف ثلاثة مرات للصلاة وصل ثلاث مرات مردداً نفس الكلمات.

عندما تتلو صلوات المزامير ([2]) لا يكن لديك أفكاراً متعالية فهذا يثبت أنك تملأ الهواء بكلمات فارغة تدينك. كلمة الله هي بذرة الصلاح، إن بقيت فيك بلا ثمر فإنك ستدان مع الذي طمر الوزنة وكانت الفضة معطاة له لكي يستثمرها.

إن كنت أثناء تلاوة المزامير ([3]) أو حينما تجد نفسك بين الناس لك عادة أن تستدعي الله لا تظن أنه لا يمكنك أن تتوسل إليه إلا بكلمات منطوقة، ولكن أذكر أنه يعرف قلوب البشر

([1]) القول ٧٨.
([2]) القول ٨٢.
([3]) القول ٨٨.

وهو يفحصهم لذلك توسل إليه في قلبك، هذا هو المقصود في الإنجيل " ادخل مخدعك وأغلق بابك وصل لأبيك الذي في الخفاء " (مت ٦: ٦) ([1]) حتى إن كنت لا تذكر اسم الله في قلبك ولكنك تذكر مجرد ذكريات عن الله فهذا أسرع من الابتهال وهو كاف لكي تأتيك المعونة.

الذي يعمل عيداً للقديسين فإنه يكون شريكاً لهم في صلواتهم إذا كان يعمل ذلك بلا سبح باطل ويتفكر أنه يعمل ذلك من أجل الله وقديسيه وليس من أجل أصدقائه وأهل خاصته فهو بذلك يأخذ أجراً عظيماً من إله القديسين.

٢ - ترديد اسم الله والتخشع

عندماأتلو المزامير هل أقول الصلاة الربانية بعد كل مزمور؟

إن قول الصلاة الربانية مرة واحدة يكفي ([2]) (في نهاية مزامير الساعة).

([1]) الصلاة في المبتدئين تشبه ناراً ومن الفرحة تندفق من القلب ولكن في الكاملين تشبه نوراً يفيح عطراً يملأ القلب ... يا لعظمة الصلاة هي عمل الآب والابن والروح القدس (القديس غريغوريوس) { كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية – دير السريان ص ٢٢ }.
([2]) القول ٣٩.

إنني مشغول طول النهار، وهذا يمنعني من تذكر الله؟ (١)

يحدث أحياناً إن إنساناً يكون قد سمع كثيراً عن مدينة معينة، ولكن عندما يأتي إلى هناك لا يتحقق هل هي نفس المدينة التي سمع عنها كثيراً. نفس الأمر بالنسبة لك يا أخي إنك تبقى طول النهار متذكراً الله دون أن تشعر، إن طاعة الله وتذكر الله لها معنى واحداً، فإنه يكون لديك الوصية وتحاول أن تحفظها كأنها آتية من الله.

سؤال كيف اقتني خوف الله؟

الجواب الذي يريد مخافة الله ينبغي له أن يعمل كل شيء بخوف الله، ويجعل الله قدام عينيه في كل أمر. وينبغي له أن يلصق كل شيء بخوف الله ويجعل الله قدام عينيه في كل أمر وينبغي له أن يلتصق بالقديسين ويتمثل بحياتهم ليصير ذلك تخشع له. لأن خراف يعقوب كانت تنظر إلى العصى التي في الماء وتلد مثل لونها. فإن نحن تمثلنا بفضائل القديسين وتدبرنا مثلهم فلا نتوانى أن نسلك في طريقهم.

الدوام في ذكر الله هو عقار مفيد ليس فقط للأوجاع، بل كمثل ما يضع الطبيب العقار واللزوق على جراح العليل وهو

(١) القول ٦٨.

يفعل من غير ما يدري العليل، وهكذا اسم الله إذا ما سمى فينا يبيد منا كل الأوجاع ونحن ما ندري!

كيف يقتني الإنسان التخشع في الصلاة والقراءة والمزامير؟

الجواب التخشع يكون للإنسان من دوام الهذيذ في ذكر ما يقرأ. فإذا ما صلى الإنسان ينبغي له أن يكون في صلاته ذكر أعماله، وما هو مصير الذين يعملون مثل تلك الأعمال ويذكر الصوت المرهوب الذي يقول امضوا عني يا فاعلي الإثم ... الخ وذكر خطاياك ليس واحدة واحدة لئلا يسبيك العدو بذكرها فتيأس بل تذكر أن عليك دين خطايا كثيرة والله يترك لك فرصة للتوبة عنها لأنه طويل الروح وكثير الرحمة.

فأما من أجل قراءة المزامير فينبغي للإنسان أن ينبه عقله ويتفطن فيما يقرأ. فإن كان يقرأ عن الخيرات فليجتهد في طلبها، وإن كان عن مكافأة الخطاة فليهرب من العقوبة التي ستنالهم.

إذا انشغلنا بأفكار العدو فما نتفرغ أبداً لنعمل خيراً وهذا هو غايته فينا أن يشغلنا فإن أبصرت أنه إنما يعمل هذا حتى يشغلك عن المزامير والقراءة والصلاة فلا تماحكه ولا تلتفت إلى أفكاره هذه ولكن أسرع أن تدعو باسم الله (١)، وهو يأتي إلى معونتك

(١) مز ٦٩ اللهم التفت إلى معونتي

ويبطل حيل العدو. فإن له القوة والتسبحة إلى دهر الداهرين آمين.

ما هي الصلاة الحقيقية؟

الصلاة الحقيقية هي أن يكون الإنسان مخاطباً الله بلا طياشة، ناظراً إليه بجملته وأفكاره وحواسه والذي يسوق الإنسان إلى ذلك هو أن يموت عن كل إنسان وعن العالم وكل ما فيه ويتصور في عقله أنه قائم قدام الله، وإياه يكلم ([1]).

وهكذا يكون قد انفلت من الطياشة وانعتق منها، وصار عقله فرحاً مضيئاً بالرب وعلامته إذا وصل إلى الصلاة الكاملة فإنه لا يتسجس البتة ولو سجسه كل العالم لأن المصلي بكمال، قد مات عن العالم ونياحة كله وفي عمل يعمله من أموره يكون فيه بلا طياشة.

٣ - حياة الشكر

احرص يا أخي أن تكمل عملك وتنحل من كل أمر وتجلس بلا هم متفرغاً مع الله. من أجل التسبيح والشكر وهيئ نفسك أن تكون شاكراً في كل أمر. لأن الرسول يقول هكذا كونوا

([1]) البستان ص ٣٣٧.

شاكرين ([1]) لله في كل حين في الأحزان، في الضيقات، في الأمراض في الأتعاب الجسدانية في كل الأشياء التي تأتي علينا فلنشكر الله عليها لأن الشكر يشفع من أجل ضعفنا.

من أجل أنه ينبغي لنا أن نشكر الله في كل شيء قد قال إذا تعبت في عملك أو سهل الأمر قدامك فأشكر وصل، وإن لم يسهل فأشكر أيضاً وصل، وهذا هو القول أشكروا في كل شيء. ولا تتأخر أن تقدم. الشكر والصلوات لله. لأنه يجب أن تضع الله قدامك دائماً كقول النبي " سبقت وأبصرت الرب أمامي في كل حين لأنه عن يميني فلا أتزعزع " ([2]).

أوقف ذاتك لشكر الله على كل شيء سامعاً لكلمة الرسول " أشكروا في كل شيء " ١(تس ٥: ١٨) سواء هاجمتك محنة أو كنت تعاني من العوز أو الاضطهاد أو عندك شدائد وضعفات طبيعية، أشكر الله على كل ما يأتي " أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله " (أع ١٤:)٢٢، فلا تدع الشك يساور نفسك أو يضعف قلبك بل تذكر كلمة الرسول " بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً "

([1]) أفسس ٥: ٢٠.
([2]) مز ١٦: ٨.

(٢كو ٤: ١٦)، فإن كنت لا تحتمل الآلام لا تستطيع أن ترتقي الصليب وتشارك في ثمرته التي هي الخلاص (١).

إننا نحتاج إلى الطعام يومياً، ولكن علينا أن لا نتذوقه بلذة. إن تناولناه (٢) شاكرين الله الذي منحنا إياه ونعتبر أنفسنا غير مستحقين له، فإن الله يجعل الطعام مقدساً لنا ويصبح بركة. ونفس الطريقة إن كنت في احتياج إلى شيء وأعطى لك أذكر الله الذي ساعدك واعتبر نفسك غير مستحق والله سيزيل عنك كل رباطات الأوجاع.

كيف يمكن لشفاهنا أن تعطي الشكر (٣) لمن خلقنا، وأعطانا المعونة ضد عدونا وأهم كل شيء أعطى لنا فرصة للتوبة، وبذل جسده ودمه ليمحو خطايانا ويثبت قلوبنا، يستحيل أن تكون تشكراتنا كافية له. ولكن رغم هذا فلنبذل كل ما في طاقتنا لكي نشكره بشفاهنا وبقلوبنا بالأخص باحتمالنا كل شيء من أجله حتى لو متنا. وفي حنانه وحبه سيقبل هذا كما قبل فلسي الأرملة.

---

(١) قول ١ المترجم.

(٢) قول ٦٩.

(٣) قول ٨٣.

إن كثيرين عندما خفت عنهم القتالات تهاونوا بأنفسهم، لكن إذا خفت القتالات لنكثر الشكر (١) لله وننظر من أي شيء نجانا ونثبت في الصلاة والطلبة لئلا نقع في تلك الأوجاع أو غيرها.

٤ - الاتكال والتسليم

بالعمل لست أرجو شيئاً، وأما بالتحنن فأرجو أن أخلص ولو كان لي عمل كنت أفزع من عقوبة الفريسي، فلذلك أجسر أن أتكلم ولكني أتكل على الله بكل رجائي وحياتي أطلب ليلاً ونهاراً أن يطهرني من الغضب وسائر الأوجاع الباطنة والظاهرة، فإن كنا بشيء نقتني فضيلة وبشيء آخر نفقدها. فماذا ننتفع أن نبني كل يوم ثم نهدم.

الإيمان بالله هو أن يسلم الإنسان نفسه له، فلا يكون له أيضاً عليها سلطان والذي ليس له على نفسه سلطان فهو تحت سلطان الله وعليه يتكل ويلقي نفسه إلى آخر حياته، وكل ما يأتي عليه يقبله من الله بشكر، وهذا قول الرسول " أشكروا في كل شيء " وإن كره الإنسان ما يأتي عليه من الله، فقد عصي وأراد أن يقيم هوى نفسه.

---

(١) ويقول القديس مار إسحق " ليست موهبة بلا نمو وازدياد إلا التي ينقصها الشكر " البستان ص ٢٧٨.

ليت الله الذي قال أطلبوا تأخذوا ([1]) يمنحك كل ما تطلب. فقط جهز بيتك واكنسه جيداً لتقبل الهبات الإلهية. أنهم يبقون في الحفظ في البيوت المكنوسة النظيفة ويعبقون بروائحهم الذكية العطرة فقط حينما لا يكون هناك أي قذارة، إن الذي ذاق منهم يصبح غريباً عن آدم العتيق يصبح مصلوباً للعالم والعالم له، ويعيش دائماً في الرب. لا توجد موجة مهما علت ترتطم به، وتقدر أن تكسر سفينته ومن ذلك الوقت يبث الرعب في أعدائه لنهم يرون فيه الختم السري، وبقدر عظمة صراعه معهم يرحب به الملك العظيم كصديق مخلص ([2]).

في الصلاة وقراءة المزامير اغصب ذاتك بصبر في محاولات كثيرة لأن الرب رحوم، وسخي وطويل الأناة وهو يقبل جهادنا. تذكر دائماً كلمات داود النبي " انتظاراً انتظرت الرب فمال إلي وسمع صراخي " (مز ٤٠: ١).

لذلك تمسك بالرجاء في مراحم الله وهي تنقذك سريعاً ([3]).

إن تسليم كل الأمور لإرادته تقي الإنسان من السجس الناتج عن الاضطراب الذي ربما يمنع الإنسان من قبول ما حدث

([1]) لو ١١: ٩.
([2]) قول ٥٢.
([3]) قول ٨٧.

بالشكر والفرح. في هذه الحالة من الضروري أن تحارب ضد هذا الاضطراب، مشعلاً مشاعر التسليم ([1]) لإرادة الله بالاقتناع المؤكد أن كل الأشياء تأتي من الله، وكل ما يأتي من الله هو لفائدتنا. لا يمكن بلوغ شيء من الخير بمفردنا وبمحاولتنا الذاتية، ولكن بقوة الله وإرادته، في الوقت نفسه يطلب الله المحاولات التي من جانبنا، ولكن هذه المحاولات ينبغي أن تكون موافقة لإرادته ولا تؤسس على الدهاء والكذب الآتيين من الشرير.

المريض يطلب صلوات من أجل أنه طريح الفراش ([2])؟

يا أخي المتضجر اليائس. لماذا تتبرم؟ لماذا تصرخ؟! لماذا تعلي صوتك لطلب المعونة من بعيد، ويسوع المسيح قريب منك ويريدك أن تطلب منه المساعدة! أدعه يا معلم وسيجيبك. المس طرف ثوبه وسيشفيك ليس من هذا الألم فقط، بل ومن جميع أوجاعك. إن كان عقلك متجمعاً فيما هو واجب عليه. فإن لسعات الحيات والعقارب لا يمكنها أن تشغلك حينئذ في الإحساس بمرض جسدي تنهدي (مز ١٠٢: ٤ – ٥). لا تتضجر فإنه قريب.

([1]) قول ٩٢.
([2]) قول ١٠٦.

كل أمر يكون جيداً ولا يكون بحب الله وحده، ولكن مخلوط بهوى الإنسان فهو مرذول عند الله. فينبغي لنا أن نحرص إلى عمل الله ومشيئته.

٥ - عناية الله بنا

إذا صلينا وأطال الله روحه في الاستماع لنا. وذلك لأن الله يعرف ما فيه الخير لأنفسنا ([1]).

المواطنون يخافون غارات الأعداء إذ ليس لديهم أي عون من الملك، وعندما تصل إليهم أخبار أن كتيبة حربية قد وصلت إلى مدينتهم يبطل قلقهم، لأنهم يعرفون أن السلطات ستتعهد بحمايتهم حتى لو سمعوا أن الأعداء يقتربون لا يخافون لأن عندهم حماية، بنفس الطريقة إن كان لدينا إيمان بالله فلا نخاف الشيطان لأن الله يرسل لنا عوناً!

ليت أخانا الأعظم يمنحنا معونة نحن جميعاً. أعني ربنا يسوع المسيح الذي تعطف وجعلنا إخوته والملائكة تخدمنا. آه من ذا الذي صار أخانا !! ([2]).

([1]) قول ٢٠.

([2]) قول ٥١.

إنه عظيم لكي يعطينا القوة، كريم ليوزع الهبات، محارب ليهزم العدو في وقت المعركة، أنه الشافي لإنساننا الداخلي مع الخارجي أيضاً، مخضعاً الأخير للأول (أي الجسد يخضع للروح) مانح الحياة ليعطينا طعاماً روحانياً، إنه الحي ليمنحنا حياة، الرحيم ليغدق علينا رحمته، إنه المعطي كل شيء ليعطينا بسخاء أنه الملك ليجعلنا ملوكاً، الإله ليجعلنا آلهة. وهكذا إذا نعرف أن كل شيء كائن فيه!

صلي له فسيعطيك سؤال قلبك ما لم تعوقه أنت بذاتك.

إن كنت أنت ما تحس لكن الشياطين تحس وتعلم قوة الذي يقال ويرعبون منه، فلا تكف مصلياً ومبتهلاً وقليلاً قليلاً بمعونة الله تلين تلك القساوة عنك.

الباب الثامن

الصوم

" ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله " (لو ٤: ٤).

١ - تسكيات الصوم

إن إمساك البطن هو أن تقلل من شبعك قليلاً، وإن كان عليك قتال فأترك قليلاً أكثر.

سؤال: كيف أقدر أن امسك بطني وأن آكل دون حاجتي لأني لا أستطيع صبراً؟ (١)

الجواب: ليس أحد يفلت من هذا الأمر إلا الذي قد بلغ مقدار ذلك الذي قال " إني نسيت آكل خبزي من صوت تنهدي، وقد لصق لحمي بعظمي " فمن كانت حالته هكذا، فإنه يأتي بسرعة إلى قلة الطعام لأن دموعه تصير له مثل الخبز، ويبدأ إذ ذاك أن يتغذى من نعمة الروح القدس صدقني يا أخي إني أعرف إنساناً يعلم الرب أنه قد بلغ إلى هذا المقدار الذي ذكرت، حتى أنه كان يأكل في كل أسبوع مرة أو مرتين وكان

(١) البستان ص ١٦٨.

مراراً كثيرة يسبى في النظر الروحاني ومن حلاوة ذلك كان ينسى أكل الطعام المحسوس، وكان إن أراد أن يأكل يشعر كأنه شبعان، ولا يجد لذة للطعام وكان يأكل بدون شهوة، لأنه كان يشتهي أن يكون دائماً مع الله وكان يقول " أين نحن ؟! ".

أطلب يا أبي أن توضح لي قوة هذا الأمر، وكيف يصير الإنسان إلى ما ذكرت، فإني أجهل ذلك وإذا أنا بدأت اقلل طعامي فما يدعني الضعف حتى أعود إلى المقدار الأول وأنت قلت لي أن الذي يبلغ إلى المقدار الذي قيل فيه " إن لحمي لصق بعظمي من صوت تنهدي " ويصير إلى قلة الطعام فبين لي هذا الأمر؟

قال الشيخ: هذا هو التصاق للحم بالعظم أن تصير جميع أعضاء الإنسان ملتصقة إلى أن تكون أفكار الإنسان كلها فكراً واحداً بالله، عند ذلك يلتصق الجسداني ويصير روحانياً ويلحق الجسد بالفكر الإلهي، وحينئذ يصير الفرح الروحاني في القلب. يغذي النفس ويشبع الجسد ويقوي كلاهما حتى لا يكون فيهما ضعف ولا ملل.

لأن ربنا يسوع المسيح يكون الوسيط ويوقف الإنسان بالقرب من الأبواب التي ليس داخلها حزن ولا وجع ولا تنهد. وحينئذ يتم القول " حيث يكون كنزك فهناك يكون قلبك ".

كف الآن من المنامات، وانتبه من نومك الثقيل. حرك رجليك وأسرع إلى صوغر ([1]) لكي لا يلحقك خراب الخمسة مدن التي لسدوم، ولا ترجع إلى صوغر لئلا يطغوك أعدائك فتقابل الشر بالشر كن عبداً خاصاً لسيد واحد ولا تتعبد لكثيرين.

احترس لئلا تلسع من حيات الشر وتتسمم من زعافها أنه مميت، فلا يستطيع أحداً أن يصنع خيراً مستخدماً وسائل شريرة. لأنه هو نفسه يكون مغلوباً من الشر على العكس فإن " الخير يغلب الشر " (رو ١٣: ٢١)، فيتحتم عليك أن تصارع وحوشاً مثل الرسول الذي هزم وحوشاً في أفسس (١كو ١٥: ٣٢)، إن ألقيت في البحر المائج فإنك مضطر أن تلاقي أهوالاً وتجاهد ضد تلك الأمواج العاتية فإذا تغلبت عليها بمعونة الله ستدخل إلى ميناء هاديء في المسيح يسوع ربنا ([2]).

من يريد أن يصل إلى المدينة لا يرقد في الطريق بل يسرع ليصلها قبل أن تغلق أبوابها، والذي يريد أن يشتغل لا يتكاسل بل يكمل عمله ويتعهده بنشاط حينما يرى شروق الشمس لئلا

([1]) تك ١٩: ٢٦.
([2]) قول ٦.

يعوقه شيء عنه والذي يريد أن يسمد حقله لا يتركه مهملاً بل يغصب نفسه على هذا العمل قبل أن يخسر. من له أذان للسمع فليسمع (مت ١١: ١٥) ([1]).

انتبه إلى ذاتك جيداً فإن الشياطين يريدون أن يشغلونك بتوافه الأمور، مثل النوم وأنت جالس، أو النوم على وسادة. إنها أمور تشبه النعناع والشبث والكمون ويمنعك عن أثقل الناموس أي التغلب على الغضب، مقاومة التمرد وبلوغ الطاعة في كل الأشياء. إنهم يبذرون فيك كل هذا لكي يرهقوا جسمك وحينئذ تسقط في المرض وبدون إرادتك تحتاج إلى فراش ناعم وتجبر على أصناف عديدة من الأطعمة، فمن الأفضل لك أن تقتنع بوسادة وترتاح عليها بخوف الله. املأ إنائك بالتوابل غير المادية مثل الاتضاع، الطاعة، الإيمان، الرجاء، المحبة لأن الذي له هذه الأمور يستطيع أن يقدم وليمة أمام المسيح الملك السمائي([2]).

إذا ما اقتنى الإنسان موهبة الانتباه (اليقظة) فلا يترك الأفكار الرديئة تدخل إليه، وإن دخلت لا يتركها تسكن.

([1]) قول ١٣.
([2]) قول ٥٥.

قال لا تضع لنفسك حداً حتى إن اضطرك أمر للخروج خرجت بدون أن تحزن فكرك.

سؤال: كيف أعرف الفكر الذي من الله والفكر الذي من الطبيعة والفكر الذي من الشيطان؟

الجواب: إفراز هذه المسألة ([1]) إنما يكون للذين قد بلغوا إلى التمام لأنه إن لم تطهر العين الداخلية بالعرق والعناء الكثير فلا تقدر أن تفرز.

على الإنسان أن يتصرف بتمييز وتعقل في كل شيء وسوف لا يعثر فاقطع هواك لله في كل شيء وقل ليس كما أريد أنا بل ليكن ما تريده أنت يا ربي وإلهي. وهو يعمل معك كهواه (كمشيئته) فاسمع الآن فرز هذه الأفكار الثلاثة:

إذا تحرك في قلبك فكر في ذات الله ووجدت فرحاً وحزناً يساوي الفرح، فاعلم أن هذا الفكر من الله فداوم فيه. فإن جاءك فكر طبيعي الذي هو الهوى الجسداني فادفعه وتمم القول الإلهي أن تكفر بنفسك أي تكفر بالمشيئات الطبيعية وتقطع هواك الجسداني.

([1]) البستان ص ٤٢٩.

وأما أفكار الشيطان فتكون مبلبلة وممتلئة أحزاناً، وهي تجر على ا [illegible] فكل أمر تفكر فيه وتحس في قلبك ببلبلة ولو بمقدار شعرة فاعلم أن ذلك من الشيطان واعلم أن ضوء الشياطين آخره ظلمة.

أخبرني يا أبتاه ما هو العمل الذي يعمل بقدر قوة الإنسان، وإياه يطلب الله منا لكي لا يكون من قبل استرخانا ننقص ونظن دائماً أننا نعمل بقدر قوتنا وكيف نفهم قدر قوتنا؟

الجواب: قد أعطي الإنسان فهماً أن يفرز الأمور فإن إنسان قد جاء من تعب الطريق أو من عمل آخر ثقيل فلن يقدر أن يحفظ طقسه مثل سائر الأيام فيتناول قليلاً للجسد زيادة عن كل يوم فقد عمل قدر قوته، وإن كان يسهر نصف الليل وزاد في رقاده ساعة من أجل التعب الذي تعبه فقد عمل بقدر قوته.

وإن قلت كم قدر النوم فقد أمر الآباء أن يكون نصف الليل رقاداً والنصف الآخر سهراً وأما عن الطعام فيكون الإنسان دائماً يترك من شبعه قليلاً (لا يملأ بطنه).

سؤال هل يتساهل الإنسان مع الجسد بسبب وهنه (تعبه) وضعفه ([1])؟

([1]) القول ١٠٨.

الباب السابع

تدبير الإرادة

" الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة " (في ٢: ١٣)

١ - الطاعة

كن محباً للخيرات الروحانية ولها حافظاً، وعبداً مرضياً لسيده وتلميذاً متضعاً لمعلمه من أجل الذي وضع نفسه من أجلك.

مطيعاً للمطيع، طويل الروح للطويل الروح، رحوماً للرحيم، محتملاً ثقل أخيك كمثل ما احتمل الله ثقلنا. كن محباً للكل حباً صافياً كمثل ما أحبنا هو، وأطعه في كل أمر حتى تؤخذ إلى الملك العظيم والنياح الدائم، واعلم أن الله لا يطلب منك إلا الصبر والشكر وهو يفتح لك كنوز رحمته وحكمته لأن الآباء القديسين كل واحد منهم يقرب لله البنين الذين خلصهم قائلاً بصوت عظيم وبدالة كثيرة " ها أنا والبنون الذين أعطيتني يا إلهي " والملائكة المقدسون يتعجبون وكل الطغمات السمائية وحينئذ يتم المكتوب أن الإله في الكل.

تحفظ ألا تدين أحداً ولكن أحسن الطاعة، وأنت تبلغ الاتضاع، والاتضاع يحرق منك كافة الأوجاع لا تعبس (١) وتظن أن الوصية ثقيلة فليس هو كذلك، وبلا حفظ الوصايا ما يقدر أحد أن يخلص والخلاص يحتاج إلى تعب كثير وعرق واجتهاد. فلا تسترخ للجسد وإلا صرعك. لقد طلبت يا ابني شيئاً حامضاً يكون حلواً، فالحامض هو هواك والحلو هو التوبة لأنك قلت لي منذ فترة قصيرة أريد أن أسكت، فها قد عرفت وأقررت أنك تعرف ما فيه خير. وهذا هو العجب بعينه عوض أن تقول اهدني وأرشدني إلى طريق الله. فاسبق واحفظ الوصية التي قلتها لك وأنا أعطي جواباً عنك واحتمل ذكر خطاياك ولا أتكك ههنا في تلك الحياة ولا أخيراً بنعمة ربنا.

إن أنت عملت كل أعمالك بالطاعة فإنك تنتفع وإن أنت أكثرت القول أصابك ضرر لأنها من إرادة الشرير، إذا لم تتحرك الأوجاع على الإنسان لتحاربه لم يكون مجرب. النسيان هو هلاك النفس، وهو يكون من التهاون والضياع، والوجع الدنس يحتاج إلى وجع القلب والجسد حتى ينقلع، أما القلب فيجب أن يطلب إلى الله بلا فتور، والجسد يضغط عليه ويستعبد بقدر قوة

---

(١) لا ينقطب وجهك.

كيف يشارك من ليس له في التطويبات؟ الموعود بها ليس فقط لمن يعطوا صدقات بل " طوبى للمساكين بالروح " طوبى للحزانى " (مت ٥).

إن كنت لا تستطيع، كن مسكيناً بالروح لكي ترث ملكوت السموات مع القديسين، احزن على خطاياك في هذا العالم لتتعزى مع أولئك الحزانى، اقتن الوداعة لترث الأرض، كن نقي القلب لكي ترى الله في مجده، ومن أجل الرب احتمل الاضطهاد والتعذيب وكل وسائل الشر التي تشاع عنك كذباً لكي تفرح وتتهلل بالأجر العظيم الذي تناله من السماء ([1]).

سؤال: إن أحسن إنسان إلى آخر يا أبتاه ودعا له واعترف بإحسانه أيجاوبه أم لا؟

أجاب الشيخ: الصمت هو الأفضل في كل شيء ولكن لئلا يظن أنه ما قبل دعاه ورفض صلاته ينبغي أن يقول له بتواضع اغفر لي يا أبي وصل عليَّ من أجل الرب ويكون في قلبه أنه ما عمل شيئاً لأن **المحسن إلى الكل هو الله.**

([1]) قول ١١٦.

إن اتفق أن رأيت اثنين من المساكين وما معي ما يكفيهما؟ قدم للمحتاج أكثر مثلما أبصرت مريضين فيجب الاهتمام بمن هو أشد مرضاً.

المساكين الطارقين الباب ماذا يجب أن أعمل معهم؟

اعمل بقدر ما تصل يدك، ولو كسرة خبز أو قدح ماء بارد أو فلسين أعطهما بخوف الله وهكذا تمجد اسم الله.

جيداً هو أن نعطي إنساناً غريب الجنس أو مخالفاً إذا كان محتاجاً؟

لا ينقسم فكرك أن تعطي هؤلاء. إذ أنه بمثل هذه البركة التي فيها قوة من الله يعود ذاك الغريب إلى معرفة الحق!

الباب الثامن

الهدوء

" أطلب إليكم أيها الإخوة أن تكونوا هادئين "

(١ تس ٤ : ١١)

١ - الصمت والكلام

درب نفسك أن تقضي صوم الأربعين صامتاً خمسة أيام في الأسبوع وإن احتجت الكلام فيكون السبت والأحد ولا يكون بدون حاجة وإن أنت التقيت أحداً وخالطته لا تهتم ماذا تقول أو ماذا تتكلم به لأنك ستعلم ما تتكلم به.

الحصاد كثير فلا تتركه وتمضي تلتقط السنابل، القطاف كثير، فأترك الالتقاط واقطع عناقيد الحقل، أترك كل شيء وكن بلا هم من كل إنسان وتفرغ للحصاد كيما تكون ثمرتك من القمح ويقوى قلبك وتفرح بالرب.

ليس في غلق الباب يكون الصمت بل في غلق الفم.

ينبغي للساكت (١) بالكمال ألا يدين أحداً ولا يكلم بعض الناس ويلقاهم وبعضهم لا، فذلك رديء والذي يقدر ألا يهتم بأحد جيداً يعمل حسناً والذي يلقي ويكلم من أجل الله جيد هو.

عندما اضطر إلى نقاش أنسى نفسي وأشرد بعيداً وبعد ذلك أشعر بالحزن والخزي؟ (٢)

إذا أراد الإنسان أن يسقط في هذا الخطر وفي المجد الباطل عليه في كل الأحوال أن يتجنب الكلام ويقطع المناقشات معتذراً ببعض الأعذار ولكن إن كانت المناقشة دائرة وغير مفيدة فقل سامحني إني أشعر بضعف وانصرف سريعاً.

صمت الشفتين أحسن وأفضل من أي محادثة بناءة، لقد تمسك آباؤنا به بكل توقير وهيبة وتمجدوا فيه ولكن من حيث أننا في ضعفنا لا نستطيع أن نسلك طريق الكمال فلنتكلم بما هو بناء ونتكلم عن تلك الأمور مستشهدين بأقوال الآباء، ومن الأفضل أن نستعملها في حديثنا، حينئذ نحصل على الفائدة التي تحويها أقوالهم لكن فلنتخذ وضعاً وسطاً في استعمالنا لهذه

---

(١) قال شيخ " إن قومت الصمت فلا تظن في نفسك أنك قومت شيئاً ولكن اعتبر ذاتك لست أهلاً أن تتكلم " البستان ص ٤٠٥.

(٢) قول ٦٤.

الكلمات متذكرين من قال " كثرة الكلام لا تخلو من معصية " (أم ١٠: ١٩)، ولئلا نقع في أفكار تعال وافتخار فلنحفظ في أذهاننا **أننا طالما لم نمارس ما نقول فإننا نقوله لدينونتنا** ([1]).

إن كان صمت الشفتين يعتبر أكثر فائدة من المحادثات الجيدة، فإنه مفيد بالأحرى أكثر من التحدث في الشئون العامة (المدن والقرى المجاورة والحرب والسلام ومثل هذه) وإن كنا لا نستطيع أن نفلت من مثل هذه الأحاديث فليس أقل من أن نختصر المحادثة لئلا نقع في أحد فخاخ إبليس بالكلام الكثير([2]).

إن كنت بدأت المحادثة وفجأة وجدت أنها خاطئة أوقفها قائلاً " دعنا لا نتكلم في هذا " وبعد فترة صمت قليلة قل لقد نسيت ما أتكلم عنه وانتقل إلى موضوع آخر لا يشوبه أذى ولا ضرر ([3]).

إذا نظرت نفسك لا تتكلم ليس بكلام إلهي، فالصمت أجود من ذلك وأعجب.

([1]) قول ٩٣.
([2]) قول ٩٤.
([3]) قول ٩٧.

أعمر بيتك الخرب عد وقل ارحمني يا ابن داود كيما أبصر، افهم أن كل فم يستد ولا تتعاجب بالكلام. أغلق بابك الدنس أقم كلامك بالميزان وصير على باب فمك وأغلق.

استعمل الصمت إن كنت تحب النياح ومت عن كل إنسان وأنت تتنيح.

إذا تكلمت قليلاً احذر أن تدين هؤلاء إنهم تكلموا كثيراً ولست تدري لعل كلمة واحدة من كلامك أكثر من كلامهم الكثير.

فإذا تكلمت تكلم باتضاع وإفراز وبلا بلبلة وإلا فأسكت.

٢ - السكون

اقطع عنك كل الخلطة وكل الأسباب الخارجية ولا يكن لك خلطة مع أحد فإن لم تصنع هكذا فلست تسكت ([1]) سكوتاً تاماً لأننا نحن هكذا كنا نعمل.

إن أنت تألمت مع المسيح فستتمجد معه، وإن أنت مت فستقوم معه، فلا تتهاون بهذا الكنز الموضوع لأنك بعد لم تفهم قوته ما هي؟ وإذ أنت بلغت إلى كمال السكوت فستفهم

([1]) مهما كان نوع الرهبة فإن عدم التنقل وملازمة القلاية والسكون أمور أساسية لكل راهب (عن حاشية البستان ص ٤١٥).

وتتعجب من موهبة الله وكيف أن طرقه لا تدرك ولأنك مع الناس فلا تستطيع تبلغ إلى هذا ولكن إن أنت جلست بلا هم كما كنا نحن فإنك تدرك ذلك.

السفينة في البحر تكون عرضة للأخطار والرياح وعندما تصل إلى مرفأ هادىء بلا اضطراب لا تخشى أخطاراً ولا كوارث ولا رياح بل تبقى في أمان. هكذا حينما تكون بين الناس عليك أن تتوقع الاضطراب والأخطار والصدمات الذهنية ولكن عندما تصل إلى ميناء السكون المعد لك تكون بلا خوف([1]).

أفكاري تحدثني أنني إن ذهبت إلى مكان ما وعشت وحدي سأصل إلى السكون الكامل؟ ([2])

أنه قبل أن يصلب ربنا يسوع المسيح احتمل إهانات وشتائم بكثرة وأخيراً فقط صعد إلى الصليب. بنفس الطريقة لا يمكن أن يصل أحد إلى كمال السكوت المثمر والسلام المقدس الكامل إن لم يتألم من قبل مع المسيح (عائشاً وسط إخوة) ولم يكابد كل آلامه، متذكراً كلمات الرسول " إن كنت نتألم معه لكي

([1]) قول ٢.

([2]) قول ٧٢.

نتمجد أيضاً معه " (رو ٨: ١٧). فلا تنخدع إذ ليس هناك طريق للخلاص غير هذا.

سئل شيخ: كيف أسكن في دير بغير قلق؟ ([1])

قال: ذلك بأن تعد نفسك غريباً ولا تطالب أن يكون لك فيه كلمة مسموعة، كما تقطع هواك ولا تحسب نفسك شيئاً.

إنسان ساكت يجب عليه ألا يحسب نفسه شيئاً بل عليه أن يلومها دائماً، إذا انزلق الجاهل في كلامه فله عذر من الكل لأنه لا يدري ما يتكلم به، ولكن إذا انزلق الحكيم فليس له عذر لأنه حكيم وبمعرفة يتكلم، وكذلك إذا أخطا احد العلمانيين له عذر لأنه يخاطب الكثيرين في العالم، فأما عن الذين يظن بنا أننا رهبان أصحاب سكوت ومعلمون فأي عذر لنا ([2])؟!

الشكر

كيف ينبغي للإنسان أن يشكر الله كما يجب؟!

الجواب: إن كان الناس الترابيون إذا هم تركوا شيئاً ما لأحد، أو خلصوه من حزن، يعترف بشكرهم ويذكر إحسانهم، فكم بالأكثر يجب على الذين ينالون إحسان الله في كل وقت أن يشكروه، ومن أين لنا أفواه حتى نستطيع أن نشكر كما ينبغي؟

([1]) البستان ص ٤١٤.

([2]) البستان ص ٣٩٤.

أول شيء نشكره لأنه خلقنا وبعد ذلك أعطانا معونة على الأعداء وأيضاً على فهم كلامه، صحة البدن، نور العينين، نسمة الحياة، موضع للتوبة، أخذ جسده ودمه لمغفرة الخطايا، الخبز الذي يشدد القلب.

إن كان الناس من أجل الأمور المحسوسة البالية يكافئون ويشكرون من يعملها بهم فأي شيء به نستطيع نحن أن نكافيء الله الذي صلب من أجلنا؟ إن أردنا أن نكافئه لنحتمل الصلب حتى الموت. فلا تتعب إرادتك لتطلب أن تنال الشكر الواجب لله من الناس، فإنك ما تبلغ ذلك وخاصة نحن الخطاة ولأنه مات من أجلنا! فإن كنت في حبس وأخرجك إنسان وحبس نفسه عنك لحرصت أن تكافئه وتشكره بما يفوق طاقتك، فكم بالأكثر الذي مات عنك!!! واعلم أننا ما نبلغ أبداً إلى شكره كما يستحق. ولكن ذلك بقدر قوتنا نشكره بالفم والقلب أما هو فلكثرة تحننه يحسب لنا ذلك ويقبله مثل فلسي الأرملة!

وهذا و عمله من أجلنا نحن الخطاة، فأما الصديقون فقد أتعبوا أنفسهم وأماتوها من أجل شكره كما قال بولس الرسول " أشكروا في كل شيء لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم " (١تس ٥: ١٨).

الذي له التسبحة مع الآب والروح القدس إلى دهر الداهرين آمين